البابوية وسيطرتها على الفكر الأوربى
فى العصور الوسطى

د / أحمد على على عجيبة

بســم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والســلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ٠

وبعـــــد :

فإن هذا البحث يستهدف بيان الأسباب الحقيقية وراء النزعات الأوربية والتيارات الفكرية فى العصر الحـــديث حيث انبثقت العديد من المذاهب والتيارات المعاصرة نتيجة لسيطرة الكنيسة على الفكر الأوربى فى العصور الوسطى(★)

(★) تعددت الآراء والنظريات حول بداية العصور الوسطى ونهايتها فقد طرح الباحثون منذ القرن الثامن عشر أحداثا عديدة وتواريخ شتى لبداية العصور الوسطى ٠

فالبعض حدد سنة ٢٨٤ م كبداية للعصور الوسطى باعتبار أنهـــا السنة التى تولى فيها دقلديانوس حكم الامبراطورية الرومانية ٠

وفريق آخر اعتبر سنة ٣٢٣ م ـ وهى التى اعتلى فيها الامبراطور قسطنطين الكبير عرش الامبراطورية ـ هى البداية الحقيقية للعصـــور الوسطى ٠

وأغلب المؤرخين يرون أن سنة ٤٧٦ م هى أصـــلح وأنسب بداية لتاريخ القرون الوسطى الأوربية لأن هذه السنة تعتبر آخر عهـــــد بالامبراطورية الرومانية القديمة فى الغرب ٠

وقد عدد د/جوزيف نسيم يوسف هذه النظريات وحصر أهمهـا فى اثنتى عشرة نظرية ٠

كذلك أيضا اختلف المؤرخون حول تحديد نهاية العصور الوسطى ، فقد رأى البعض أن حركات الاصلاح الدينى فى أوربا التى بدأت فى القرن الرابع عشر تمثل نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة ٠

ويرى فريق آخر من المؤرخين أن سنة ١٤٥٣ م هى التى تحدد نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة ٠ ففى تلك السنة انتهت حرب المائة عام بين انجلترا وفرنســـــا (١٣٣٨ ـ ١٤٥٣ م) هذا الى جانب أن القسطنطينية انتقلت الى يد الأتراك العثمانيين فى تلك السنة ٠

ومهما كان اختلاف المؤرخين حول النقطة التى تبدأ منها العصور الوسطى الأوربية وتلك التى تنتهى عندها ٠ الا انها من الناحية التقليدية الشكلية تبدأ فى القرن الخامس وتنتهى فى القرن الخامس عشر الميلادى ٠

=

فالعلمانية ، والصراع بين الدين والعلم ، والتحرر من الدين نهائيا نتيجة من نتائج هذه السيطرة ٠

بل وأكثر من هذا فإن السمة الغالبة على الدراسات الانسانية والفكرية فى العصر الحديث أثر من آثار هيمنة البابوية على مقاليد الأمور فى العصور الوسطى ، الأمر الذى نتج عنه صراع دام بين البابوية وأصحاب الفكر ، استخدمت الكنيسة فيه كل وسائلها لاستئصال الفكر المخالف ودفنه تحت الثرى ٠

ولا شك أن منشأ هذا الصراع ليس راجعا الى الدين بوجه عام وإنما مرده إلى المسيحية تلك الديانات التى تكونت من أديان وأساطير وخرافات وثنية ٠

وقد أردنا من هذا البحث أن نوضح هذه الظاهرة ونشأتها والظروف التى ساعدت على ذلك ، وأسبابها ، والوسائل التى استخدمتها الكنيسة للقضاء على الفكر والعلم على أن نتبع هذا البحث ببحث آخر إن شاء الله تعالى عن النتائج المترتبة على ذلك ٠

=

(راجع فى هذا على سبيل المثال د/جوزيف نسيم يوسف : دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ١٠ ـ ٣٩ ـ مؤسسة شباب الجامعة ، د/على الغمراوى : مدخل الى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط ص ٢٧٥ ـ ٣٤١ ٠ الطبعة الثانية ٠ مكتبة سعيد رافت سنة ١٩٧٧ م) ٠

البابوية (١) نشأتها وتطورها والظروف التى ساعدت على ذلك :

بدأ نفوذ الكنيسة يزداد شيئا فشيئا منذ أن اعترف الامبراطور الرومانى قسطنطين (٢) بالمسيحية وذلك بموجب رسالة ميلان ـ أو كما شاع بين المؤرخين ـ بمرسوم ميلان سنة ٣١٣ م (٣) ، وبدأ رجال الدين المسيحى يتهيأون للسلطة ~~يعملون على حماية طبقة رجال الدين وتنظيمها وعلى إزالة~~ خاصة وأن الأباطرة الرومان الذين جاءوا بعد ذلك أصبحوا يعملون على حماية طبقة رجال الدين وتنظيمها وعلى إزالة كل العقبات أمام تقدم الديانة المسيحية وانتشارها ٠

---

(١) البابوية : منصب البابا وهو الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية ، وأطلق أخيرا على رئيس الكنيسة الأرثوذكسية أيضا ٠ والبابا قال البعض انها كلمة عربية الأصل مترجمة من كلمة بطريرك الأعجمية التي كان يسمى بها أسقف انطاكية وحده ، وقال آخرون : انها كلمة يونانية الأصل مأخوذة من « باباس » وهى كلمة معناها الأب فقط ، وقال ابن البطريق : انها مركبة من « أب أبا » ثم أدرجت الى « بابا » وتخففت بلفظ « بابا » ، وقيل انها لفظة يونانية معناها الأب ٠ وكان النصارى الشرقيون يستعملونها لقبا للقساوسة ، أما النصارى الغربيون فكانوا يلقبون بها الأساقفة ولكن العرف جرى فى الغرب على أن يختص بها أسقف روما وحده من باب التشريف ٠ **أما الآن فهى خاصة برئيس الكنيسة الأعلى فى روما** ، وان كانت تطلق الآن أيضا على بابا الاسكندرية (راجع المعجم الوسيط جـ ١ ص ٣٥ أصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢ م ، د/سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ ١ هامش ص ٥٤ ٠ مكتبة الأنجلو المصرية ٠ الطبعة السادسة سنة ١٩٧٥ م ، د/محمد رجب الشتيوى : المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية ص ٥٢٣ ٠ مطبعة التقدم سنة ١٩٨٨ م ٠

(٢) امبراطور رومانى عاش ما بين عامى (٢٨٠ ـ ٣٣٧ م) وكان قد تولى السلطة عام ٣٠٦ م ٠

(٣) يرى بعض المؤرخين أن قسطنطين اعترف بالمسيحية كدين رسمى للامبراطورية الرومانية فى مرسوم ميلان الشهير (راجع : كولتون : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ص ٢٤٧ ترجمة د/ جوزيف نسيم يوسف ٠ دار المعارف ٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ م ، د/جوزيف نسيم يوسف فى تعليقه على الكتاب السابق هامش نفس الصفحة) ٠

ولذلك صدر قانون ثيودوسيوس (٤) ضد الهرطقة (٥)

بنما يرى آخرون أن قسطنطين وليكنيوس (شريكه فى اصدار مرسوم ميلان) أجازا رسميا اعتناق الديانة المسيحية التى كانت قبل ذلك الوقت محرمة من قبل السلطات الرومانية ، وتعهد الشريكان فى هذا المرسوم بكفالة الحرية المطلقة للعبادة لجميع المواطنين (راجع تشارلز وورث : الامبراطورية الرومانية ص ٢١٠ • ترجمة : رمزى عبده جرجس ، مراجعة د/محمد صقر خفاجه • سلسلة الألف كتاب • دار الفكر العربى سنة ١٩٦١ م ، د/رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة جـ ٢ الفصل الثالث ، جـ ٣ ص ١٢٧ دار المعارف الطبعة الثانية) • وهذا الرأى هو الراجح فى نظرنا ويدل على ذلك أن يوسابيوس القيصرى ـ الذى كان معاصرا لقسطنطين ومقربا له وصديقا خاصا به حتى انه ألف كتابا عنه وأهداه ابنيه ليعبر عن وفائه وولائه له ـ يذكر الرسالة التى استقر عليها قسطنطين وشريكه وفيها اطلاق حرية العبادة لكل الرعايا بما فيهم أتباع المسيحية (راجع يوسابيوس القيصرى : تاريخ الكنيسة ص ٤٩٨ ترجمة القمص مرقس داود • مكتبة المحبة سنة ١٩٧٩ م) راجع أيضا للباحث : تأثر المسيحية بالأديان الوضعية : الباب الأول الفصل الاول (رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين بطنطا) •

وقد ذكر د/رأفت عبد الحميد أنه قد شاع بين المؤرخين خطأ تسمية هذه الرسالة « بمرسوم ميلان » والحقيقة أنها ليست بيانا رسميا صدر عقب انتهاء المحادثات بين قسطنطين وليكينيوس ولكنها رسالة أذاعها النائب الامبراطورى فى نيقوميديا بعد أن جاءته رسالة من ليكينيوس الامبراطور الرومانى فى الشرق وكانت هذه الرسالة تعبيرا عما استقر عليه الطرفان فى ميلانو سنة ٣١٣ (الدولة والكنيسة جـ ٢ ص ١٠٦ دار المعارف • الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢ م) •

(٤) امبراطور رومانى (٣٧٨ ـ ٣٩٥ م) آخر من تولوا الحكم فى امبراطورية موحدة اذ أن الامبراطورية قسمت اثر وفاته بين ابنيه هونوريوس حاكما على الغرب وأركاديوس حاكما على الشرق •

راجع : دونالد ددلى : حضارة روما ص ٣٥٥ • ترجمة جميل يواقيم الذهبى ، فاروق فريد • مراجعة د/صقر خفاجة • دار نهضة مصر سنة ١٩٧٩ م ، هـ • موس : ميلاد العصور الوسطى ص ٣٧ • ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد • مراجعة د/الباز العرينى « سلسلة الالف كتاب » عالم الكتب سنة ١٩٦٧ م •

وقد نشر مرسوما فى سنة ٣٨٠ م ـ كما يقول جون لوريمر ـ ثبت بموجبه المسيحية (راجع : تاريخ الكنيسة جـ ٣ ص ١٠٩ دار الثقافة المسيحية • الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ م) •

(٥) الهرطقة : كلمة يونانية الأصل معناها (الرأى المستقل) أو (الاجتهاد الفردى) وقد استخدمتها الكنيسة بمعنى المذهب الخارج على

- الخارجين على الكنيسة - حيث حرم بمقتضاه على من لم تصح عقيدتهم من المسيحيين عقد الاجتماعات (٦) ، وسلم كل الكنائس للثالوثيين ، وقضى على معابد الوثنية فى أرجاء الامبراطورية .

وفى عام ٣٩٠ م أمر بتحطيم تمثـــال سيرابيس (٧) بالاسكندرية إذ لم يكن ليسمح بعد ذلك بوجود منافســـة

المسيحية ، وعلى ما تقرر فى المجامع المسيحية (راجع د/اسحاق عبيد : الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٣٤ ، دار المعـــارف سنة ١٩٧٢ م ، د/محمود محمد الحويرى : رؤية فى سقوط الامبراطورية الرومانية هامش ص ٧٥ دار المعارف سنة ١٩٨١ م) .

(٦) والمعيار فى ذلك عنده هو قانون الايمان المسيحى الصادر عن مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م والذى أكد على القول بألوهية المسيح ولعن وطرد من يقول بغير هذا .

(٧) كانت الاسكندرية فى عصر البطالمة - وهم الذين حكموا مصر بعد وفاة الأسكندر الأكبر عام ٣٢٤ ق م وظلوا يحكمونها حتى دخلت فى حماية الرومان عام ١٦٨ ق.م ثم أصبحت ولاية رومانية عام ٣١ ق.م - هى المركز الأول لعبادة سرابيس .

وأصل هذه العبادة أن بطليموس الأول (٣٨٥ - ٣٠٥ ق.م) كون لجنة من علماء الدين المصريين واليـــونانيين لاختيار الديانة الجـــديدة التى يتقبلها المصريون واليونانيون على حد سواء وقد استقر رأى اللجنة على أن يكون محور الديانة الجديدة ثالوثا يتألف من سرابيس ، وايزيس ، وحورس ، ولم يشك أحد فى أن ايزيس وحورس كانا الهين مصريين ، أما سرابيس فان الآراء تضاربت حول أصله ، والرأى الراجح أن أصله هـــو الاله المصرى أوزيريس ، فلم يكن سرابيس - فى نظر الكثيرين - الا صورة من الاله أوزيريس . وكان طبيعيا أن يتبع انشاء العبادة الجديدة تشييد معبد لكبير آلهتها فى الاسكندرية واقامة تمثال له فى هذا المعبد ، وقد روى البعض أن بطليموس احضر تمثال سرابيس من سينوب - وهى مدينة على البحر الاسود - وأقامه فى المعبد الذى شيده فى الاسكندرية على اطلال معبد قديم لايزيس وسرابيس (راجع د/ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ج ٢ ص ١٧٧ - ١٩٦ . مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعـــة الخامسة سنة ١٩٨١ م ، د/مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الأكبر الى الفتح العربى ص ٥١ . مكتبة الأنجلو المصرية سنه ١٩٨٥ م . راجع أيضا للباحث : دراسات فى الأديان الوثنية القديمة ص ١٢١ دار المنار للطباعة . الطبعة الأولى سنة ١٩٩١ م) .

ولا أية مناقضة للكنيسة المسيحية (٨) ٠

وفى ذلك الآونة بدأت البابوية تظهر على الساحة وتفرض سيطرتها على العالم المسيحى ٠

وقد أشارت المراجع الى بعض البابوات الذين لعبوا دورا فعالا فى توجيه سياسة الكنيسة ٠

- ومن هؤلاء البابا داماسوس الأول (٣٦٦ - ٣٨٤ م) الذى كتب مؤلفا استعرض فيه مكانة كرسى روما الأسقفى ، وأكد سيادة البابوية وسموها ، كذلك عهد هذا البابا الى جيروم (٣٤٠ ؟ - ٤١٩ م) بترجمة الانجيل الى اللاتينية (٩) ٠

وقد دعم داماسوس هذا مركز البابا بالنسبة للدولة وبقية الكنائس فلم يعد البابا مضطرا للمثول أمام المحكمة ٠

وعند انعقاد المجلس الرومانى عام ٣٧٨ م ثبت داماسوس حق بابا روما فى الاستماع الى استئناف أى أسقف (١٠)

---

(٨) راجع ولز : معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) ص ٧٢٢ ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ٠ لجنة التاليف والترجمة والنشر ٠ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ م ، كولتون : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ص ٢٤٧ ٠

(٩) د/سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ٥٤ ٠

(١٠)كان النظام الكنسى - أو ما يسمى بدرجات الاكليروس ، والاكليروس هو اللفظ الأعلى الذى يشمل جميع درجات رجال الكنيسة - يتكون فى أول الأمر من رتب ثلاث : الأساقفة ، والشيوخ أو القساوسة (وقد أطلق عليهم بعد ذلك لقب الكهنة) ، والشمامسة ٠ وكان الشيوخ وكل الكنيسة يرشحون الأسقف ثم يصدق الأساقفة الآخرون على هذا الترشيح ويرسمونه ، لانه لا يرسم الأسقف - عندهم - الا الأسقف ، أما الشيوخ فكانوا ينتخبون بواسطة الأساقفة ثم يرتسمون على أيدى الأسقف والشيوخ الآخرين ، أما الشمامسة فيختارهم ويرسمهم الأسقف وحده (راجع جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ٩٣ ٠ دار الثقافة المسيحية

ضد مطرانه (١١) فى أى كنيسة ، وأمكنه أيضا المطالبة بحق معاونة السلطة المدنية معه فى نتفيذ أى حكم بابوى ضد أحد الأساقفة .

وفى مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ م أعلنت الرئاسة العليا لروما فوق جميع الكنائس الأخرى ولو أن الكنائس الشرقية لم تعترف بها (١٢) .

ـ أما البابا سيركيوس (٣٨٤ ـ ٣٩٩ م) الذى خلفه فترجع إليه أولى المراسيم البابوية التى وصلت الى المؤرخين والباحثين ، كما بقيت من عهده بعض خطابات رسمية تناولت مسائل معروضة على أسقف روما للبت فيها .

ـ وبعد ذلك اشتهر البابا ليو الأول (٤٤٠ ـ ٤٦١ م) الذى تم فى عهده الاعتراف بسيطرة البابوية على كافة الكنائس المحلية (١٣) . حيث منح الامبراطور فالنتيان الثالث (١٤) (٤٢٥ ـ ٤٥٥ م) البابا سلطة تشريعية على

=

سنة ١٩٨٥ م) .

ثم أضيف بعد ذلك ثلاث رتب أخرى وهى (البابا ـ البطريرك ـ المطران) لتصبح درجات الكنيسة ست درجات . (راجع د/محمد الشتيوى : المجامع المسيحية ص ٥٢٢) .

(١١) المطران : كلمة يونانية مأخوذة من كلمة (متروبوليس) ومعناها : المدينة العاصمة أو المدينة الأم ، والمطران هو أسقف المدينة الأم والمتقدم على الاساقفة فى المجامع باعتباره الأسقف الأعلى للمدينة الأم . (انظر المرجع السابق ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ ، جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ ٣ ص ٥١ .

(١٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٣٦ .

(١٣) د/عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ٥٤ .

(١٤) وكان ذلك عقب رفض « هيلارى أسقف بواتيه » الاذعان لحكم ليو الأول (٤٤٠ ـ ٤٦١ م) فى النزاع الذى شجر بينه وبين أسقف آخر من بلاد الغال ـ بلاد فرنسا حاليا ـ حينئذ أرسل اليه « ليو » أوامر حاسمة عاجلة أيدها الامبراطور فالنتيان الثالث بمرسوم من أهم المراسيم الامبراطورية يؤكد فيه سلطة أسقف روما (البابا) على جميع الكنائس المسيحية (راجع ول ديورانت : قصة الحضارة ، مجلد ٤ جـ ١ ص ١٠٥ ، ترجمة محمد بدران . لجنة التاليف والترجمة والنشر) .

الكنيسة فى الامبراطورية الرومانية الغربية (١٥) بأن أصدر مرسوما يؤكد فيه سلطة أسقف روما على جميع الكنائس المسيحية (١٦) وخضوع أساقفه الغرب له (١٧) ٠

وقد أدى ضعف أباطرة الرومان ثم انهيار الامبراطورية الرومانية فى الغرب سنة ٤٧٦ م إلى ازدياد سلطة البابوية وارتفاع شأن البابا فى أوربا ٠

ولذلك يذكر «فشر» أنه لو ظل الأباطرة فى روما لما استطاع البابوات أن يتجنبوا المصير الذليل الذى آل إليه البطاركة البيزنطيون ، بسبب إقامة الأباطرة الشرقيين فى القسطنطينية منذ تأسيسها على يد قسطنطين أوائل القرن الرابع الميلادى ٠

ثم يقول : (والواقع أنه لو استقر الأمر على ذلك لما استطاع البابوات فى روما إلا أن يصبحوا رهن إشارة الأباطرة ووكلائهم ، ولضاعت عليهم السلطة الأدبية اللازمة لإقامة الاستقلال الدينى على أساس مكين) (١٨) ٠

ويقول ول ديورانت : (ولكن بعدهم - بابوات الغرب - عن أباطرة الشرق ، وضعف حكام الغرب قد تركا البابا صاحب السلطان الأعلى فى روما) (١٩) ٠

وهنا ينبغى أن نلاحظ أن هناك فروقا واضحة بين الشرق والغرب ٠

---

(١٥) عالم العصور الوسطى ص ٢٤٧ ٠
(١٦) قصة الحضارة مجلد ٤ ج ١ ص ١٠٥ ٠
(١٧) د/عاشور : أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٥٤ ٠
(١٨) فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى (القسم الأول) ص ١٠٨ ، ١٠٩ ٠ ترجمة : محمد مصطفى زيادة ، السيد الباز العرينى ٠ دار المعارف ٠ الطبعة السادسة سنة ١٩٧٦ م ٠
(١٩) قصة الحضارة ٠ مجلد ٤ ج ١ ص ١٠٥ ٠

ففى الشرق أسلمت الكنيسة زمامهـــا للأباطرة الذين ازداد تدخلهم فى الشئون الكنسية وبخاصة فيما بين القرنين السادس والثامن بحيث أصبحوا يتدخلون لا فى سياســة الكنيسة الخارجية فحسب بل فى نظمها وسياستها الداخلية أيضا (٢٠) ٠

لكن البابوية ـ فى الغرب ـ نجت من ذلك بسبب حادثين سياسيين متداخلين تغيرت بسببهما معالم أوربا الغربيــة تمام التغير وهما : انهيار الحكومة الامبراطورية ، والاغارات الجرمانية فى الغرب ، ذلك أن اختفاء الامبراطورية الرومانية من الغرب مكن البابوات من الحلول محل الأباطرة فى روما ، هذا الى جانب أنهم هم الذين حالوا بين الجرمان والمدنية الرومانية فى ايطاليا (٢١) ٠

وهناك فارق آخر بين الشرق والغرب ـ فى هذا المجال ـ وهو أن السلطة الكنسية فى امبراطورية القسطنطينية كانت موزعة بين الأساقفة الكبار أو البطاركة فى القسطنطينية ، وأنطاكية ، والاسكندرية ، والقدس ، بينما تركزت السلطة فى الغرب فى بطريرك ـ أو بابا ـ روما ، وكان الجميـــع يعترفون على الدوام بأن أســـقف روما هو الأول بين البطاركة ٠

تآزرت كل هذه الأمور الســـابقة ـ بدءا من اعتراف قسطنطين بالمســيحية ـ على تبرير ادعاء بابا روما بأن له الحق فى ممارسة سلطات شبيهة بسلطات الامبراطور ، حتى اذا سقطت الامبراطورية الرومانية الغربية سقطتها النهائية اتخذ البـــابا لقب (الحبر الأعظم) الذى كان الأباطرة يتخذونه لأنفسهم (٢٢) ٠

---

(٢٠) أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٥١ ٠

(٢١) تاريخ أوربا العصور الوسطى (القسم الأول) ص ١٠٩ ٠

(٢٢) ولز : معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) ص ٧٢٤ ، موجز تاريخ العالم ص ١٩١ ترجمة : عبد العزيز جاويد ٠ مراجعـــة : محمد مأمون نجا « سلسلة الألف كتاب » مكتبة النهضة المصرية ســـنة ١٩٥٨ م ٠

● **لماذا تهيأت الرئاسة لأسقف روما وحده ؟ :**

بقى أن نعرف لماذا تهيأت الزعامة والرئاسة لأسقف روما وحده دون غيره من أساقفة الغرب ؟

والجواب عن ذلك ليس عسيرا وخاصة بعد أن تبين لنا ن الظروف التى مرت بها الامبراطورية الرومانية فى الغرب أتاحت الفرصة لهذه الرئاسة ٠

هذا الى جانب أنه من المعروف أن أهمية الأسقف تتناسب عادة والأهمية السياسية والاقتصادية للمدينة التى يقوم فيها كرسيه الأسقفى ٠ وإذا كان الشرق غنيا بمدنه الهامة التى صارت مراكز لكراسى دينية مثل الاسكندرية ، وبيت المقدس ، وقيصرية ، وانطاكية ، والقسطنطينية ، فإن الغرب لم يوجد به فى هذه المرحلة الأولى من تاريخ المسيحية سوى روما ، وقرطاجة ، ومهما يبلغ أمر هذه الأخيرة فإنها كانت لا يمكن أن ترقى الى مكانة روما ذات الماضى العريق ، والشهرة الواسعة ، والصيت الذائع ٠ لهذا ليس من الغريب أن يتمتع أسقف روما بمكانة خاصة مستمدة من أهمية مدينته حتى استغل أساقفة روما هذه الأهمية وتلك المكانة فى تحقيق نوع من الزعامة على بقية أسقفيات الغرب ، مع ملاحظة أنهم ـ فى سبيل تحقيق هذه السيادة ـ تعرضوا لكثير من ألوان المعارضة والمقاومة من بقية أساقفة الغرب لا سيما أساقفة قرطاجة (٢٣) ٠

يقول جون لوريمر (لقد ازداد سلطان المجتمع المسيحى فى روما الى درجة أن الكنيسة المسيحية هناك صارت أرفع شأنا وأكثر أهمية من أية كنيسة اخرى فى العالم ، فكان ينظر الى كنيسة روما هذه النظرة الخاصة من قبل عصر الأسقف فيكتور الأول (١٨٨ ـ ١٩٩ م) الذى دعا الى مؤتمر

---

(٢٣) اوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٥٢ ٠

لكل أساقفة الكنيسة وطلب منهم قبـــول رأى روما ، لكن أساقفة الكنيسة فى آسيا قاوموا هذا ، فمـا كان من فيكتور إلا أن أصدر قرارات حرمان ضدهم) (٢٤) ٠

هذا فضلا عن أن بابوات روما اعتقدوا أنهم خلفـــــاء لبطرس ٠ حيث تذكر التقاليد المسيحية أن بطرس ـ تلميذ المسيح ـ هو مؤسس الكنيسة الرومانية ، وأنه أول من جاء بالمسيحية الى روما ولقى بها من الأذى ما لقى فى ســـبيل المسيحية حتى قتل مصلوبا ٠

كما تذكر التقاليد المسيحية أيضـا أن بولس له نصيب كبير أيضا فى تأسيس كنيسة روما « وقد تسلح بابوات روما بالنظرية البطرسية أو نظرية التوارث الحوارية ومفادها أن الأسقف الذى يشغل كنيسة روما يرث منصب بطرس الذى هو فى نظر المســـــيحيين أول الحـــواريين وخليفـة المســيح » (٢٥) ٠

يقول الأب بولس إلياس اليســوعى (تثبت الوثائق التاريخية أن بطرس بشر بالانجيــــل فى روما عاصمة الامبراطورية الرومانية يومذاك (وقتل) فيها فخلفـــه فى رئاسة الكنيسة أحبار روما على التوالى فكان كل منهم يعتبر نفسه راعى الرعاة فى الكنيسة ورأسا لأحبار المسيحيــــة جمعاء ، ولقب أسقف روما بابا أى أبا للمســــيحيين أجمعين) (٢٦) ٠

---

(٢٤) تاريخ الكنيسة جـ ١ ص ١٤٤ بتصرف ٠

(٢٥) د/عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوربية ص ٥٩ ٠ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ٠ الطبعـــة الاولى سنة ١٩٦٧ م ٠

(٢٦) الأب بولس الياس اليسوعى : يسوع المسيح شــخصيته وتعاليمه ص ٢٨٤ ٠ منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ الطبعـة الثانية سنة ١٩٦٦ م ٠

والواقع أن ما ذكره الكاتب المسيحى فيه مغـالطات شديدة ، فالعهد الجديد بالرغم من أنه يتحـدث بالتفصيل عن حياة بطرس ونشاطه التبشيرى إلا أنه لم يذكر شيئا عن ذهـابه إلى روما أو وجـوده فيهـا ـ أو على الأقـل زيارته لها ـ ٠

كما لم يؤكد التاريخ شيئا مما يقوله المسـيحيون فى هذا الموضوع ٠

لذلك يقول الدكتور القس توفيق صـالح : (ووصف المؤرخون كيفية سجنه وصلبه بالتفصيل غير أنه لا يستطيع أحد تأكيد أين ؟ ومتى ؟ كان ذلك بالضبط) (٢٧) ٠

ومن ثم فإن القول بأن بطرس ذهب الى روما وقتـل فيها قول مشكوك فيه تعوزه الحجة وينقصه الدليل ٠

وقد أكد هذا أكثر من كاتب مسيحى ٠

يقول حبيب سعيد : (لم يذكر التاريخ شيئا عن مصير (التلاميذ) الأولين ، ويكاد يكون مؤكدا أن بطرس لم يكن فى رومية يوم كتب بولس رسائله من هناك ، ويذهب بعض ثقات العلماء أن بطرس لم يذهب الى رومية اطلاقا) (٢٨) حيث لا يوجد أى دليل أو أثر أو وثيقة أو غير ذلك تدل على وجوده فى روما ؟

يقول ناشر الطبعة الانجليزية لكتاب (تاريخ الكنيسة) ليو سابيوس القيصرى ـ أقدم مؤرخى الكنيسة ـ (ومع أننا

---

(٢٧) نخبة من اللاهوتيين : قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٧ ٠ منشورات مكتبة المشعل باشراف رابطة الكنائس الانجيليـة فى الشرق الأوسط ٠ الطبعة السادسة سنة ١٩٨١ م ٠

(٢٨) حبيب سعيد : فجر المسيحية (الجزء الأول من سلسـلة تاريخ المسيحية) ص ٤٦ ٠ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفيـة سنة ١٩٧٧ م ٠

لا نستطيع أن نسلم بزيارة بطرس لروما (وقتله) فيها إلا أنه من المؤكد عدم وصوله هناك قبل أواخر حكم نيرون (٥٤ ـ ٦٨ م) . أما زعم الكنيسة البابوية بأنه ظل أسقفا على روما خمسة وعشرين عاما ، وأنه كان فيهـــا فى عصر كلوديوس (٤١ ـ ٥٤ م) فلا يتفق مطلقا مع ما نعرفه عن حياة بطرس من العهد الجديد ، ومن الكتاب الأوائل ، لأنه فى سنة ٤٤ م كان فى أورشليم (وفقا لما ورد فى سفر أعمال الرســـــــل ١٢ : ٣) وفى سنة ٥١ م كان هناك أيضا (وفقا لما هو وارد فى سفر الأعمال ١٥) وبعد ذلك فى انطاكية (غلاطية ١ : ١١) ... وعلى أى حال فلا يمكن القول إنه كان فى روما عندما كتب بولس رسالته الى أهلها حوالى سنة ٥٧ أو ٥٨ م لأنه لم يرد أى ذكر لاسمه بين الأخوة الذين بعث إليهم بتحياته ، ولا كان هناك لما كتب بولس من روما أثناء حبسه (من سنة ٦١ أو ٦٢ الى سنة ٦٣ أو ٦٤ م) . والواقع أننا لا نجد له أى أثر فى روما إلا ما رواه التقليد من أنه (قتل) فيها (٢٩) .

ولذلك فإن ما اورده البابوات فى هذا الأمر وما يترتب عليه ـ من أنهم خلفاء لبطرس خليفة المســيح ـ مبنى على افتراض غير مؤكد ، وهذا ما يجعلنا نقـــول عنه إنه وهم لا حقيقة .

وهناك عوامل أخرى ثانوية ساعدت على تحقيق السيادة لبابوات روما :

منها : أن أساقفة روما كانوا يتمتعون بمنزلة كبيرة بين جميع أساقفة الكنائس بحكم أن الأباطرة الرومان يعيشون فيها ، أضف الى ذلك أن كنيسة روما كانت لها من الموارد المالية مما يجعلها ترسل المعونات الى الكنائس الأخرى .

منها أيضا : ازدياد الالتجاء الى أساقفة روما لاستئناف

---

(٢٩) تاريخ الكنيسة (هامش ٨٧) الترجمة العربية .

الأحكام القضائية التى أصدرتها المجامع الاقليميـــة ، أو صغار الأساقفة مما جعل أساقفة روما يبدون بمثابة الحكم الذى يفصل فى المنازعات ، ويرد الحقـــوق ، ويضع الأمور فى نصابها (٣٠) .

يقول جون لوريمر : (وعلى هذا فقد أصبحت روما المركز الحقيقى للحكم فى القضايا الكنسـية العظمى سواء أكانت نظام إدارة أم تقنين الكتب المقـدسـة أم عقـــائد كنسـية) (٣١) .

من هذه العوامل أيضا : عظم ثروة أسقفية روما ، وتعاقب عدد من ذوى الشخصيات القوية على كرسيها الأسقفى مثل « ليو الأول » ، « وجريجوزى الأول » .

هذا فضلا عن أن سقوط الامبراطورية الرومانيـــة فى الغرب سنة ٤٧٦ م ـ كما سبق أن أشرنا ـ ترك البابا وحيدا لا ينافسه حاكم أو سيد سياسى فى الغرب ، فى الوقت الذى كان بعيدا عن سلطان امبراطور القسطنطينية ونفـــوذه فى الشرق (٣٢) .

● ازدياد نفوذ البابوية :

انحدر عرش الامبراطورية الرومانية فى روميـة وتولى ملوك الفرنجة من قبائل الشمال سـلطان الحـكم فى الامبراطورية الغربية ، ولكن بقيت أسـقفية رومية ـ أو البابوية فى مكانتها الملحوظة . أما خلفـــاء أباطـــرة الرومان فقد احتفظوا بعرشهم فى بيزنطة باسم الامبراطورية الرومانية الشرقية أو الامبراطورية البيزنطية (٣٣) .

---

(٣٠) أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٥٥ .
(٣١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ج ١ ص ١٤٥ .
(٣٢) أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٥٥ .
(٣٣) فجر المسيحية ص ١٩٤ .

وعلى الرغم من أن البـــابوات بعد عام ٤٧٦ م كانوا يخضعون للإشراف الامبراطورى الشرقى فى القسطنطينيـــة ـ وظلوا حتى القرن السابع يطلبون الى الامبراطور أن يعتمد اختيارهم لمنصبهم الدينى (٣٤) ـ إلا أنهم اســـتطاعوا أن يزيدوا من نفوذهم الدينى والسياسى نظرا لانفـــــرادهم بالسلطان الأعلى فى رومة نتيجة للبعـــــد بينهـــم وبين الأباطرة ٠

وخير ما يوضح ازدياد نفوذ البابوية فى هـــذه الفترة تضاعف ممتلكات الكنيسة فى ايطاليا (٣٥) ٠ وهى الأملاك التى لم تضمن للبابوية موردا ماليا ضخما فحسب بل حققت لها نوعا من النفوذ المعنوى والمادى فى البلاد ٠ ذلك أن أساقفة ايطاليا استغلوا فرصة الفوضى السياسية والاجتماعية التى سادت ايطاليا فى ذلك العصر ، وأخـــذوا يمتلكون الأراضى ويتخذون لأنفسهم صفة الحكام العلمانيين ، فيعينون موظفى البلديات فى المدن ، ويشرفون على الأعمال العامة ، ويجمعون الضرائب ، وغير ذلك من الأعمال التى هى فى الواقع من صميم اختصاص الحكام العلمانيين (٣٦) ٠

وقد زاد من سلطان البـــابوية تولى جريجورى الأول (٥٩٠ ـ ٦٠٤ م) لعرش البابوية حيث اكتسبت فى عصره منزلة رفيعة ، ومكانة سامية ، واتخذت صبغتها العالميـــة القوية التى ميزتها طوال العصور الوسطى ٠

---

(٣٤) قصة الحضارة مجلد ٤ ج ١ ص ١٠٥ ٠

(٣٥) يقول د/سعيد عاشور (وهنا نلاحظ انه اذا كان البابا قد أصبح أعظم ملاك الأراضى فى ايطاليا فان الممتلكات البابوية لم تقتصر على المنطقة المحيطة بروما ، وانما انتشرت فى مختلف أنحاء شبه الجزيرة الايطالية وازدادت عن طريق الهبات والعطايا حتى امتدت الى صقليـــة فضلا عن ممتلكات البابا خارج ايطاليا بحيث انه يمكن القول بان الموارد الاقتصادية الواسعة التى نعمت بها البابوية كانت السر فى القوة الزمنية التى تمتعت بها) ٠

راجع أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ١٤٧ ٠

(١٣٦) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٦ ٠

ولقد باشر جريجورى الأول - بجانب عمله الدينى - المهام السياسية والادارية ، فقد أخذ ينظم وسائل الدفاع ضد اللمبارديين (٣٧) ، كإعداد الجند ، وتحصين الأسوار ، وشحن القلاع ، بل توجيه الهجمات ، وفى حالات أخرى عقد المفاوضات حيث كان هو الذى يفاوض اللمبارديين باسم الشعب الرومانى حتى عقد معهم هدنة سنة ٥٢٩ م ٠

هذا فضلا عما فعله جريجورى الأول من مد نفوذ البابوية الفعلى الى أفريقيا ، وغاليا ، وأسبانيا وانجلترا (٣٨) ٠

يقول حبيب سعيد : (وفى عهده أفلحت البابوية فى الاحتفاظ ببعض وظائف الحكومة المدنية وضم كنائس الغرب تحت رعويته ، وادارة أملاك الكنيسة وأموالها مستقلة عن الدولة ، ومحاولة انتزاع السلطة الدينية العليا من بطريرك القسطنطينية ، وتركيزها فى رومية كمركز للمسيحية) (٣٩)

وهكذا سارت الأمور حتى تحققت للبابوية سيادتها الفعلية فى صورة عملية عالمية على عهد البابا جريجورى الأول حيث دانت لنفوذه الكنيسة الغربية بأكملها (٤٠) ٠

وقد ولد هذا الوضع نوعا من التنافس بين البابوية والامبراطورية نظرا لاعتزاز كل من الطرفين بسمو مركزه وعلو مكانته ٠

---

(٣٧) اللمبارديون : آخر الشعوب الجرمانية التى اقتحمت الامبراطورية الرومانية واستقرت داخل أراضيها ٠ وقد أقاموا فى القرن الأول عند وادى نهر الأودر والجزء الادنى من نهر الالب حتى تحركوا جنوبا بعد قليل ، ثم كانوا أن ظهروا فى بانونيا فى أوائل القرن السادس حيث دخلوا فى صراع رهيب مع جيرانهم من الشعوب الجرمانية وخرجوا منتصرين من هذا الصراع سنة ٥٦٧ م ٠ المرجع السابق جـ ١ ص ١٤٠ ٠

(٣٨) المرجع السابق جـ ١ ص ١٤٨ ، ١٤٩ ٠

(٣٩) فجر المسيحية ص ١٩٩ ٠

(٤٠) أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ٥٥ ٠

ففى سنة ٦٣٨ م أصدر الامبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) مرسوما (٤١) يوضح فيه أنه إذا كان للمسيح طبيعتان - كما يعتقدون - إلا أن مشيئته واحدة وفعله واحد (٤٢) ، على أن يمتنع الناس عن الخوض فى الكلام عن كنه طبيعة المسيح ، وعما إذا كانت له صفة واحدة ، أو صفتان ، ولكن عليهم أن يشهدوا بأن الله له إرادة واحدة أو قضاء واحد (٤٣) ٠

والجديد فى هذا - بالنسبة للديانة المسيحية - إشاعة القول بأن المسيح له مشيئة واحدة ٠

وقد وافق البابا أنوريوس الأول (٦٢٥ - ٦٣٨ م) على هذا المرسوم ٠ ولكن رجال اللاهوت فى الغرب لم يوافقوا البابا على ذلك ونددوا بموقفه ٠

ولما أصدر الامبراطور قنسطانز الثانى (قسطنطيوس) (٦٤١ - ٦٦٨ م) منشورا فى عام ٦٤٨ م يبدى فيه ميله الى هذا المذهب رفضه البابا مارتن الأول (٦٤٩ - ٦٥٥ م) الذى عقد مجمعا فى روما سنة ٦٤٩ م وأعلن فيه بطلان المرسوم الذى أصدره الامبراطور بخصوص تحريم أى نقاش حول الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة ٠

هذا فى الوقت الذى كانت البابوية تطمع فى تحريم الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة واضطهاد الأتباع القائلين بها ٠

ولم يستطع الامبراطور أن يغفر للبابا هذه اللطمة فأمر

---

(٤١) وكان يريد هرقل من ذلك الجمع بين المذاهب المسيحية المختلفة - أو بمعنى أدق - محاولة التوفيق بين المسيحيين الشرقيين القائلين بالطبيعة الواحدة وبين كنيسة روما التى تقول بالطبيعتين ، وهى محاولة - كما ترى - فاشلة ٠

(٤٢) المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية ص ٢٩٠ ٠

(٤٣) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٠ - دار القلم ، دار الانصار ٠ الطبعة العاشرة سنة ١٩٧٧ م ٠

نائبه فى رافنا بإيطاليا ـ بانتهاز الفرصـــة للقبض على البابا ، وإرساله الى القسطنطينية ، وقد تم ذلك بالفعـــل حيث حوكم البابا ونفى الى شبه جزيرة القرم وبقى بها الى أن مات سنة ٦٥٥ م (٤٤) .

وحين تولى قسطنطين الثالث (٦٦٨ ـ ٦٨٥ م) حرص على علاقته الودية مع البابوية ، وعمل على استرضاء البابا اجاتون (٦٧٨ ـ ٦٨١ م) لأسباب سياسية ولذلك عقد المجمع المسكونى السادس والذى اجتمع فى القسطنطينية ســـنة ٦٨٠ م وقد رفض هذا المجمع المذهب القائل بالمشيئة الواحدة وقرر أن المسيح له طبيعتان ، ومشيئتان ، وفعلان . وقالوا فى ذلك : إننا نعلن بوجود مشيئتين ، وطبيعتين ، وفعلين فى المسيح لا يعروهما انقسام ، ولا استحالة ، ولا انفصـــال ، ولا امتزاج ، ولا تضاد بينهما ، كما قرر لعن وطرد كل من يقول بالمشيئة الواحدة والطبيعة الواحدة (٤٥) .

وابتداء من عهد هذا الامبراطور الذى كان حريصـا على ارضاء البابوات انتهى تدخل الامبراطور فى موضوع اختيار البابوات وتعينهم .

كما تم اعفاء البابوات من دفع الضرائب لخزينـــــة الدولة .

ثم لم تلبث الأوضاع أن تغيرت ، وأصبح أمراء المقاطعات هم الذين يدفعون الضرائب للبابا . وقد حـــدث أن امتنع (فيلكس) حاكم (رافنا) عن دفع الضرائب التى طلبها منه البابا قسطنطين (٧٠٨ ـ ٧١٥ م) فأرسله الى القسطنطينية حيث حوكم أمام الامبراطور « يوستينيان الثـانى » الذى اعتبره خارجا على القانون ومتمردا ، وأصدر حكمه عليه بأن

---

(٤٤) راجع قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ٣ ص ٣٤٩ ، أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ١٥٠ .

(٤٥) المجامع المسيحية ص ٢٩٣ .

تقلع عيناه ، ولم يكتف الامبراطور بهذا لكنه أتبع حكمه ـ كما يقول جاد المنفلوطي ـ بأن قدم بنفسه فروض الطاعة والولاء للبابا (٤٦) .

وقد ساعدت الفوضى التى تعرضت لها الامبراطورية البيزنطية فى نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن (٦٩٥ ـ ٧١٧ م) على ضعف نفوذها فى ايطاليا ، وهو الأمر الذى أعطى البابوية فرصة للظهور والتمتع بسلطات زمنية واسعة حتى إن البابا (حنا السادس) (٧٠١ ـ ٧٠٥ م) باشر جمع الضرائب فى روما كما عقد المعاهدات مع بعض اللمبارديين (٤٧) .

وعندما قام اللمبارديون بطرد الوالى الرومانى من (رافنا) خشى البابا (استيفن الثانى ٧٥٢ ـ ٧٥٧ م) أن يستولى اللمبارديون على روما فيحط ذلك من شأن البابوية ، ويجعلها مجرد أسقفية محلية يستولى عليها اللمبارد ، فاستغاث بالامبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ ـ ٧٧٥ م) ولكن الامبراطور لم يغثه ، فولى البابا وجهه شطر الفرنجه ، وأسفرت هذه الحركة عن نتائج سياسية هامة . فقد لبى (بيبين القصير ٧٥٢ ـ ٧٦٨ م) نداءه وأخضع اللمبارد وأعاد الممتلكات البابوية التى استولوا عليها ، **وقدم جميع ايطاليا الوسطى للبابوية هبة عرفت بـ « هبة بيبين » سنة ٧٥٦ م . وبسببها قامت سلطة البابوات الزمنية .**

وبلغت السياسة البابوية ذروتها حين وضع البابا « ليو الثالث ٧٩٥ ـ ٨١٦ م » التاج على رأس شارلمان سنة ٨٠٠ م ليتوجه امبراطورا على الدولة الرومانية . ولم يعد يعترف

---

(٤٦) جاد المنفلوطى : المسيحية فى العصور الوسطى ص ١٢ (الجزء الثانى من سلسلة تاريخ المسيحية) . دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية سنة ١٩٧٧ م .

(٤٧) أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ١٥٢ .

لشخص ما أنه امبراطور إلا إذا مسحه أحد البابوات (٤٨) ٠

وهكذا زاد نفوذ البابوية فى العصور الوسطى ، وتم سيطرة البابا على رجال الدين ، كما زاد تدخله فى الشئون الدنيوية وكان لهذا أثره على الفكر الأوربى فى تلك العصور .

● تأكيد سلطة البابوية وسيادتها على الملوك بالأسانيد المزورة :

لم تجد البابوية أمامها سابقة تستند إليها فى تأكيد سيادتها على الملوك من جهة ، وعلى بقية رجال الكنيسة من جهة أخرى . وهنا لجأ رجال الكنيسة الى التزييف والتزوير لاختلاق سوابق تستند اليها البابوية فى تحقيق أهدافها (٤٩) ٠

ولذلك زورت الوثائق التى تتضمن مراسيم امبراطورية أو بابوية لتضفى صفة الشرعية على سيطرة البابوية على رجال الدين والملوك من جهة ، وعلى سلطتها الدنيوية بوجه عام من جهة أخرى .

وهناك وثيقتان مزورتان اشتهرتا بين المؤرخين تم تزييفهما على أيدى رجال الكنيسة .

---

(٤٨) قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ٣ ص ٣٥٠ - راجع أيضا : المسيحية فى العصور الوسطى ص ١٢ - ١٥ ، د/عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوربية ص ٧٠ - المكتبة العصرية - بيروت ٠

(٤٩) أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ٢٢٥ ٠

أما الوثيقة الأولى :

فهى التى سميت بـ « هبة قسطنطين » ووصفت بأنها « أغرب عملية تزوير حدثت فى القرون الوسطى » (٥٠) ·

والغرض منها : إثبات سلطة البابوية الزمنية وسيادتها على الغرب الأوربى (٥١) ·

وهى عبارة عن مرسوم مزور يدعى رجال الكنيسة انه صادر عن الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ ـ ٣٣٧ م) ·

وقد روى هذا المرسوم خرافة جاء فيها أن البابا سيلفستر الأول (٣١٤ ـ ٣٣٥ م) شـــفى قســـطنطين من مرض الجذام (٥٢) ، واعترافا منه بجميل البابا نحوه كافأه بأن تخلى له عن حكم ايطاليا والغرب ، ومنحه التاج الامبراطورى تعبيرا عن هذه السلطة ، وأن قسطنطين اكتفى بحكم القطاع

---

(٥٠) **عالم العصور الوسطى فى النظم والحضاره** ص ٢٤٨ ·

(٥١) **اوربا العصور الوسطى** ج ١ ص ٣٢٥ ·

(٥٢) ويذكر د/عبد القادر أحمد اليوسف رواية أخرى لهذه الوثيقة المزورة حيث يبين أنها تشير الى أن قسطنطين منح كنيسة روما قبل انتقاله الى القسطنطينية امتيازات كبرى جعلها زعيمة كافة الكنائس · وتزعم الوثيقة أيضا أن الامبراطور أعتنق المسيحية على يد ذلك البابا بأسلوب دراماتيكي · اذ حاول قسطنطين التكفير عن سيئاته بارتمائه على الأرض تحت أقدام البابا مجردا من كافة شارات الحكم بما فيها التاج ثم أخـــذ يجهش بالبكاء حتى ابتل رداؤه المطروح أرضا ، وقد سلم قسطنطين كافة شارات الحكم بما فيها التاج والصولجان والراية الى البابا · ثم أمســك بعنان جواد البابا وقاده لمسافة قصيرة للدلالة على الامعان بالتواضع · وسلم البابا القصر الامبراطورى فى روما وكافة الولايات الغربية · وأخيرا رغب قسطنطين أن يضع التاج الامبراطورى على رأس البابا غير أن الأخير رفض ذلك · وبالرغم من أن البابا رفض التاج الامبراطورى الا أنه فى رأى المزور قد أصبح للبابا ·

وللبابا حق استرجاع التاج فى أى وقت يشاء وأن يتصرف به حسب ارادته ا · هـ ·

(راجع : العصور الوسطى الأوربية ص ٧١) ويظهر لنا بصـــورة واضحة من خلال أسلوب هذه الرواية أنها وثيقة مزورة وأن المزور أراد أن يوضح سيادة البابوية وسلطتها على الملوك والأباطرة ·

الشرقى من الامبراطورية الرومانية ، وأن البابا أعاد التاج للامبراطور مرة ثانية (٥٣) ٠

ادعت الكنيسة أن هذه الوثيقة ظلت محفوظة منذ القرن الرابع فى دار المحفوظات البابوية ٠

وادعى رجال الكنيسة الغربية فى العصور الوسطى أن هذه الوثيقة تثبت حق البابا فى تتويج الأباطرة والملوك لأن إعادة سيلفستر للتاج على رأس الامبراطور قسطنطين يعتبر تتويجا له وحقا يستطيع أن يمارسه فى أى وقت ، وتثبت بالتالى - فى نظر الكنيسة - خضوع السلطة الزمنية للسلطة الدينية ٠ وبعبارة أخرى تثبت حق البابا فى توجيه السياسة كيفما شاء (٥٤) ٠

وكذلك أيضا ادعوا أن هذه الوثيقة تثبت حق البابا فى السلطة على ايطاليا وكل أراضى الامبراطورية الرومانية فى الغرب ٠

لقد أراد المزور أن يوضح احقية البابا فى السلطة منذ عهد قسطنطين ، كما أراد أن يؤكد على سيادة البابا على الملوك والأباطرة وعلى تبعيتهم له ٠

---

(٥٣) عالم العصور الوسطى ص ٢٤٨ ٠

(٥٤) د/على الغمراوى : مدخل الى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط هامش ص ٩٧ ٠ مكتبة سعيد رأفت ٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ م ٠

ولا يعرف أحد على وجه التحقيق والتأكيد متى ؟ وأين حررت (٥٥) هذه الوثيقة التى أثبت « للورنزو ديلا فاللا »(٥٦) فى القرن الخامس عشر أنها وثيقة مزورة ؟

كل ما يعرفه المؤرخون أنها حررت فى النصف الثانى من القرن الثامن وأن النسخة التى وصلت اليهم من هذه الوثيقة ـ وهى نسخة محررة فى منتصف القرن التاسع ـ ضمت الى

---

(٥٥) يرى البعض أن هذه الوثيقة يحتمل أن تكون قد زورت وحررت فى فرنكيا ـ فرنسا الآن ـ ويستند هذا الاحتمال الى أن المخطوطة المحفوظة فى المكتبة الأهلية فى باريس ـ وهى أقدم مخطوطة تحتوى على هـــذه الوثيقة ـ كتبت فى فرنكيا ، كما يستند الى أن أول من استشهد فى القرن التاسع بهبة قسطنطين كانوا من الأساقفة الفرنجيين وهم « آدو » أسقف فيين و « هنكمار » أسقف رنس و « اينياس » أسقف باريس · ولكن الرأى الغالب يذهب الى أن هذه الوثيقة تم تزويرها فى روما لأن أسلوبها يطابق الأسلوب الذى كانت تكتب به الوثائق البابوية فى القرن الثامن · وبعض القائلين بهذا الرأى يعتقدون أنها حررت فى عهد البابا (استيفان الثانى ٧٥٢ ـ ٧٥٧ م) وبالتحديد فى عام ٧٥٣ م وذلك للتأثير على ملك الفرنجة بيبين الثالث (المعروف بيبين القصير) لكى يحارب اللمبارديين فى ايطاليا ويسترد منهم الأملاك البابوية التى استولوا عليها · والتى تعتبر بموجب هذه الوثيقة المزورة حقا شرعيا للبابا · وأن الموثق « كريستوفر » هو الذى قام بتحريرها ، وأن البابا استيفن الثانى قدم الوثيقة بنفسه الى « بيبين » عندما سافر الى فرنسا ·

ويرى آخرون أنها حررت فى عهـــد البابا أدريان الأول (٧٧٢ ـ ٧٩٥ م) الذى أراد أن يقدم سندا قويا للأملاك الشاسعة التى اســـتولى عليها فى ايطاليا ·

ومهما يكن من أمر فان « هبة قسطنطين » المزورة اعتبرت وثيقـــة صحيحة طوال العصور الوسطى · وكان البابوات ورجال القانون الكنسى يستخدمونها كسند شرعى فى تدعيم المطالب البابوية حتى كشف « فاللا » عن زيفها وتزويرها فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى فى مقـــال نشره سنة ١٤٤٠ م · وقد حاول بعض رجال الكنيسة فى القرن السادس عشر أن يدافعوا عن صحتها ولكن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع · وظل الجدل هكذا حتى أواخر القرن الثامن عشر · وفى القـــرن التاسع عشر أصبح من المؤكد صحة ما ذهب اليه « فاللا » من أن الوثيقة مزورة ومزيفة (المرجع السابق هامش ص ٩٧ ـ ١٠٠) ·

(٥٦) ناقد ومؤرخ ايطـــالى ولد عام ١٤٠٥ أو ١٤٠٧ وتوفى عام ١٤٥٧ · تخصص فى مجال النقد التاريخى ، واشتهرت مقالاته التى كشفت زيف هبة قسطنطين ·

مجموعة القرارات والمراسيم التي عرفت بمجموعة « ايزيدور التاجر » . لأن محتوياتها تبدأ عادة بجملة « ايزيدور التاجر خادم المسيح يحيى القارئ » وسوف نتحـــدث عن هــذه المجموعة بعد ذلك .

وقد انتقد « فاللا » صحة « هبة قسطنطين » مستندا أولا وقبل كل شيء على قواعد عامة يؤيد بها أن قسطنطين لم يمنح الهبة بتاتا ، وأن البابا سيلفستر بالتالي لم يقبلهـــا ، ثم تطرق من فرض إلى فرض في محاولته إبراز وجهة نظره ، فلو أن امبراطورية العالم الغربي قد منحت حقيقة للبـــابا لأمكن الاستدلال على أن الهبة قد منحت بالفعل بوجود عملة تحمل اسم البابا وهذا لم يحدث مما يؤكد عدم صحتها .

ولاحظ « فاللا » أن « يوتروبيوس » وهو مؤرخ روماني عاش في القرن الرابع الميلادي ـ وقد كتب في وقت متقدم بعد الحادث المزعوم ـ لم يشر إلى هذه الصفقة المهمة ، وأن النص الأصلي لم يظهر قط .

وأخيرا فإن الوثيقة قد كتبت بلاتينية سقيمة تحمـــل طابع الديوان البابوي بدرجة من الوضوح بحيث يبـــدي ظاهرها كل دلائل التزييف المغرض (٥٧) .

أما الوثيقة الثانية :

فهي التي سميت « بالأحكام البابوية المزورة » وقـــد نشرت تحت اسم (ايزيدورس ميركاتور) ، وهي مجموعة الأحكام التي قوت فيما بعد سلطان البابوية .

---

(٥٧) فشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث (من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية) ص ٣٦ . ترجمة : د/زينب عصمت راشد ، د/أحمد عبد الرحيم مصطفى . مراجعة : د/أحمد عزت عبد الكريم . دار المعارف سنة ١٩٦٥ م .

وكانت تهدف فى بادئ الأمر إلى تقرير حق الأساقفة فى أن يستأنفوا أحكام مطارنتهم الى البابوات أنفسهم ٠

ولا يعرف متى صدرت هذه الأحكام ؟ ولا أين صدرت ؟ ولكن أغلب الظن أنها جمعت – كما يقول ول ديورانت – فى مدينة متز عام ٨٤٢ م وكان واضعها قس فرنسى يسمى باسم (ايزيدورس ميركاتور) (٥٨) ٠

يقول كولتون (وعلى الرغم من أن أحدا لا يعرف شيئا عن هذا الرجل المسمى (ايزيدورس ميركاتور) فقد كان بوسع أى أسقف خلال الشهور القلائل الأولى عدم الاعتراف بهذه المجموعة إلا أنها لم تلبث أن اكتسبت ثقة لا نزاع فيها وكأنها كتاب مقدس ، ولقد قضى البابا نيقولا الأول (٨٥٨ – ٨٦٧ م) على كل شك أثير حول مرسوم أدخل فيما بعد فى القانون الكنسى ٠ ومنذ ذلك التاريخ أصبح هذا التزوير فى مأمن من الطعن فيه حتى سنة ١٤٥٠ تقريبا عندما كشف « فاللا » عن زيف هذه المجموعة وتزويرها) (٥٩) ٠

وهى عبارة عن مجموعة شديدة الغرابة تتضمن مستندات مزورة وقد أضفى عليها بصيص من الحقيقة للإيهام بأنها صحيحة ٠

فهى تشتمل – بالاضافة الى طائفة من القرارات الصادرة عن المجامع الدينية أو البابوية – على عدد من المراسيم والخطابات التى تعزى إلى البابوات مبتدئة من كلمنت الأول (٩١ – ١٠٠ م) الى ملخيادس (٣١١ – ٣١٤ م) ٠

وكان الغرض الذى تهدف اليه هو أن ما جرت عليه الكنيسة من تقاليد وعادات قديمة تقضى بألا يخلع أى أسقف من منصبه ، وألا يدعى أى مجلس من مجالس الكنيسة الى الاجتماع ، وألا يفصل فى أى مسألة من المسائل الكبرى إلا بعد

---

(٥٨) قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ٣ ص ٣٥٩ ٠

(٥٩) عالم العصور الوسطى ص ٢٤٩ ٠

موافقة البابا ، كما تشير إلى أن البـابوات جميعـا حتى الأولين منهم ـ كما تدعى ـ كانوا يدعون أنهم أصحـاب السلطان العالى المطلق بوصفهم خلفاء المسيح .

وكان البابا سيلفستر الأول (٣١٤ ـ ٣٣٥) يوصف فى هذه المجموعة بأنه قد أصبحت له بمقتضى (هبة قسطنطين) السلطة الزمنية والدينية الكاملتين على جميع أوربا الغربية وأن « هبة بيبين » ـ بناءا على هذا ـ لم تكن الا استردادا أعرج لحق مختلس (٦٠) .

وهكذا أخذت هذه المبادىء تسود الدوائر الكنسية فى غرب أوربا منذ النصف الثانى من القرن التاسع ، فأصبح الأساقفة يتجاهلون رؤساءهم ، ويلجأون الى البـابوية لإنصافهم كما تدخل البابا « نيقولا الأول ٨٥٨ ـ ٨٦٧ م » فى شئون كنيسة اللورين مسـتندا الى بعض الأحكام المزورة السابقة ، فأصر على حقوق البابوية فى اصـدار التعليمات والأوامر الى مختلف الكنائس المحلية (٦١) .

وقد تم الكشف عن الزيف والتزوير فى هذه المجموعـة فى القرن الخامس عشر على يد (لورنزو ديلا فاللا) .

وقد أشار ول ديورانت الى حقائق هامة توضح التزوير فى هذه الأحكام التى وصفها بـ (الأحكام الكاذبة) .

وقد أكد ذلك بقوله (ومما يؤسف له أن كثيرا من الوثائق المزورة تنقل نصوصا من ترجمة القديس جيروم للكتـاب المقدس (٦٢) ، ومن المعروف أن جيروم قد ولد سنة ٣٤٠ م أى

---

(٦٠) قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ٣ ص ٣٥١ .
(٦١) أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ٣٢٦ .
(٦٢) وهى الترجمة اللاتينية الشائعة وفيها ـ كما يقول ول ديورانت بعض الأخطاء ، وبعض العبارات العامية التى ينفـر منها المدقق فى اللغة ، ولا تزال ترجمته التى روجعت فى عامى ١٥٩٢ ، ١٩٠٧ م هى النص المعتمد للكتاب المقدس فى جميع البلاد التى تدين بالمذهب الكاثوليكى الرومانى . وكتاب (دويه) المقدس هو النص الانجليزى لهذه الترجمـة اللاتينية (قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ١ ص ٨١٢) .

بعد ستة وعشرين عاما من وفاة مليخادس (٦٣) . ولقد كان فى وسع كل من أوتى قدرا من العلم أن يكشف عن هـذا التزوير ولكن البحث العلمى كان قد انحط كثيرا خلال القرنين التاسع والعاشر . وكان مجرد القول بأن كثرة الادعاءات التى تعزوها هذه الأحكام البابوية الى أسـاقفة رومة الأولين قد صدرت من هذا البابا أو ذاك من البـابوات المتأخرين ، كان هذا القول وحده كافيا لإضعاف حجة النقاد ، ولهذا ظل البابوات ثمانية قرون كاملة يفترضون صحة هذه الوثائق ويستخدمونها لتوطيد أركان سياستهم (٦٤) .

وقد كشف « فاللا » فى عام ١٤٤٠ م تقريبا بما لا يدع مجالا للشك عما فى هذه الأحكام الكاذبة من تزوير ، ولهذا فإن جميع الطوائف مجمعة الآن على أن هذه الوثائق التى كانت مثارا للجدل وثائق مزورة (٦٥) .

● سيطرة البابوية على مقاليد الأمور :

وقع أكثر من صدام بين البابوية والقادة السياسيين فى الفترة ما بين القرن العاشر الى القـرن الخامس عشر الميلادى .

ففى نهاية القرن التاسع وبداية القرن العـاشر أدى فساد رجال الدين وانحطاط البابوية الى سـيطرة الحكام على الكنيسة .

ولكن ما لبثت البابوية أن تماسكت وأعادت سيطرتها وسيادتها .

---

(٦٣) بمعنى أن هذه الأحكام الكاذبة تنسب — كما ذكرنا سابقا — الى اساقفة روما الأولين بعض المراسيم والخطابات . والعجيب أن هـذه المراسيم تنقل نصوصا من ترجمة جيروم للكتاب المقدس مع أن جيروم ولد بعد وفاة مليخادس (آخر الأساقفة الذين تنسب اليهم هـذه المراسيم المزورة) .

(٦٤) المرجع السابق مجلد ٤ جـ ٣ ص ٣٥١ — ٣٥٢ .

(٦٥) المرجع السابق هامش ص ٣٥٢ .

ففى عام ١٠٥٩ م دعا البابا نيقولا الثانى الى عقد مجمع دينى فى روما لتنظيم اختيار البابا وانقاذ البابوية من الانحلال والانحطاط . وقد قرر المجمع أن يتولى الكرادلة وحدهم ـ وهم أساقفة روما وضواحيها السبع ـ انتخاب البابا على أن يستدعى الناس ورجال الاكليروس بعد ذلك لمجرد الموافقة على هذا الاختيار . هذا فضلا عن أنه تقرر ضرورة اختيار البابا من بين رجال الاكليروس فى روما نفسها ، الا فى حالة عدم توافر المؤهلات والشروط اللازمة للمنصب البابوى فى أحدهم ، فإذا تعذر لأى سبب اجراء عملية انتخاب البابا فى روما فإنه يجوز اجراء هذه العملية فى أى مكان آخر . وبذلك استطاعت البابوية أن تتحرر من نفوذ نبلاء روما وسيطرة الأباطرة جميعا (٦٦) .

وقد برز فى هذا المجتمع الكاردينال (هلد براند) الذى تولى البابوية ـ بعد ذلك ـ فى عام ١٠٧٣ م تحت اسم (جريجورى السابع) حيث استطاع أن يعيد للكنيسة سيطرتها وللبابوية نفوذها . فقد نادى بعلو شأن البابا ، واعتبره سيد الأباطرة ، ويتضح هذا من خلال المجموعة التى تنسب الى ذلك البابا والتى جمعت بعد وفاته بقليل (حوالى عام ١٠٨٧) (٦٧) ، وتعرف هذه المجموعة باسم الارادة البابوية ، أو الأوامر البابوية ، وأهم موادها :

- البابا وحده هو الذى يتمتع بسلطة عالمية .
- البابا وحده يمتلك سلطة تعيين الأساقفة أو عزلهم .
- جميع الأمراء العلمانيين يجب أن يقبلوا قدم البابا وحده .
- للبابا الحق فى عزل الأباطرة .

---

(٦٦) أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ٣٢٣ .
(٦٧) وكان قد توفى عام ١٠٨٥ م .

- لا يجوز عقد أى مجمع دينى عام إلا بأمر البابا .
- ليس لأى فرد أن يلغى قرارا بابويا فى حين أنه من حق البابا أن يلغى قرارات بقية الناس .
- لا يسأل البابا عما يفعل ولا يحاكم على تصرفاته .
- للبابا أن يجيز لرعايا أى حاكم علمانى التحلل من العهود وأيمان الولاء التى أقسموها لحكامهم (٦٨) .

وقد مارست الكنيسة سلطانها وبسطت نفوذها فى خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر على كافة شئون الحياة اليومية لسكان أوربا الغربية .

وبلغ نفوذ البابوية الدينى والفكرى والدنيوى بوجه عام ذروته فى القرن الثالث عشر عندما أصبح البابا فى أوربا الغربية - بالنسبة لأهلها - بمثابة ملك يتمتع بسلطان زمنى فوق سلطانه الروحى ، ويهيمن على كنيسة ضخمة ذات ادارة منظمة لها قوانينها ، ومحاكمها ، وتقاليدها ، فإذا أراد البابا أمرا فعلى الملوك طاعته وإلا تعرضوا لعقوبة الحرمان والطرد من الكنيسة ، وما يتبع ذلك من متاعب لا قبل لهم بها داخل بلادهم وخارجها (٦٩) .

وقد تم هذا فى عصر البابا (أنوسنت الثالث ١١٩٨ - ١٢١٦ م) الذى رفع من شأن البابوية وسلطانها الى مرتبة عالية ، كما أنه استطاع أن يفرض الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فرضا على القسطنطينية وكنيستها الأرثوذكسية ولم يتهيب أن ينزل الحرمان الدينى بانجلترا وفرنسا محققا بذلك حلم البابوية فى السيادة على العالم (٧٠) .

---

(٦٨) المرجع السابق ج ١ ص ٣٣٥ .

(٦٩) المرجع السابق ج ١ ص ٤٩٤ ، راجع ايضا : المسيحية فى العصور الوسطى ص ٧١ .

(٧٠) لمزيد من التفاصيل راجع : فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى (القسم الأول) ص ٢٣١ .

● **وخلاصة ما سبق :**

أن الكنيسة الغربية فى العصور الوسطى كان لها سلطانها ونفوذها وسيطرتها . فقد تحكمت بشكل رئيسى وأساسى فى سير الأحداث فى البلاد الأوربية .

وقد وجدت الكنيسة الغربية فى جمع شملها وتركيز ادارتها تحت زعامة البابوية خير وسيلة لتحقيق رغبتها فى السيطرة .

وهكذا أصبح البابا ـ فى نظر الأوربيين ـ رأس الكنيسة الكاثوليكية ، ومصدر ولايتها ، والحارس الأول على قوانينها ، ونظمها ، وعقائدها ، ومعلم أتباعها المعصوم من الخطأ .

هذا فضلا عن اعتقادهم بأن البابا نائب المسيح لأنه يستمد سلطته من تعيين المسيح له مباشرة ، فالبابا ـ فى نظرهم ـ خليفة بطرس حوارى المسيح الأول فى كرسيه الأسقفى بروما ، وقد بينا بطلان هذا سابقا .

ولذلك لا عجب أن أصبح البابا ـ كما يقول د/سعيد عاشور ـ وهو خليفة بطرس ، رأس الجهاز السياسى فى أوربا فى العصور الوسطى حتى اعتبر أمير الأمراء والملك المسيطر على ملوك أوربا (٧١) .

وقد عمل البابا على تقوية نفوذه وسيطرته ، وقد ساعدته الظروف السياسية والاجتماعية فى أوربا الغربية على ذلك من سقوط للامبراطورية الرومانية الغربية ، وانصراف الأباطرة الشرقيين الى حل المشاكل الخاصة بالبلاد التى يحكمونها . كما أن المشاكل العقدية بين الكنيستين الشرقية والغربية لها تأثيرها على تقوية نفوذ

---

(٧١) أوربا العصور الوسطى جـ ٢ ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

البابوية فقد استطاعت أن تعقد المجامع الكنسية لتأييد عقائدها ، ومبادئها والتى تدين به الكنيسة الغربية ، كما استطاعت من خلال هذه المجامع أن تعلن طرد ولعن كل من يخالفها فى الرأى ٠

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل وصل الأمر برجال الدين فى الكنيسة الغربية الى تزوير الوثائق والمستندات والأحكام والمراسيم البابوية التى تؤكد وتؤيد سلطة البابوية الدينية والسياسية على رجال الدين من جهة ، وعلى الملوك والأباطرة السياسيين من جهة أخرى ٠

أدى هذا كله الى مزيد من الصراعات بين البابوية وأصحاب السلطة السياسية ، ويلاحظ أن البابوية قد عالجت هذه الصراعات فى كثير من الأحيان باستخدام السلطة الدينية كسيف مسلط على رقاب المخالفين بتوقيع عقوبات الحرمان واللعن والطرد ٠

صاحب هذا الصراع الذى يرمى الى تحقيق السيطرة البابوية حركة أخرى داخلية ترمى الى تدعيم مركز البابا ونفوذه داخل الكنيسة ، وكان لهذا الاتجاه عدة مظاهر أساسية :

أولهـــا :

اصرار البابوية على مكانتها الخاصة داخل الجهاز الكنسى بوصفها المرجع الوحيد فى شرح أصول العقيدة ٠

ثانيهـــا :

نمو التنظيم الكنسى والاقليمى ليحد من سلطان الملكية والأمراء الاقطاعيين وتدخلهم فى شئون الكنيسة ٠

وقد تحققت للبابوية الهيمنة والسيطرة الكنسية فى

غرب أوربا فى نهاية القرن الثانى عشر فى صورة لا تقبل الشك (٧٢) .

والواقع أن المكانة الخاصة التى تمتعت بها البابوية

داخل الكنيسة انعكست صورتها بوضوح فيما أصبح لها من نفوذ سياسى فى البلاد الأوربية خلال العصور الوسطى .

انحطاط رجال الدين وفساد أخلاقهم :

صور الكاتب المسيحى « جاد المنفلوطى » حالة الفساد التى تردى اليها رجال الدين فى العصور الوسطى ونعى عليهم قائلا : (إن القلب ليفعم بالأسى ، وتقطر النفس مرارة عندما نتعرض للحياة الدينية فى هذه الفترة (٧٣) من العصور الوسطى ، فقد عم الانحطاط وساد ، ودب فى الحياة دبيب الفساد ، ومن هامة الرأس إلى باطن القدم أصبحت الكنيسة مريضة مضروبة بضربة طرية ، موسومة بسمة الانحطاط الخلقى ، لا فرق بين قائد ومقود ، الجميع زاغوا وفسدوا معا) (٧٤) .

ثم ضرب مثالا لبيان مدى الفساد الذى تفشى وضرب أطنابه فى معسكر القادة من رجال الدين بحالة الكنيسة فى فرنسا .

فقد ذكر أن كثيرين من رجال الدين فى فرنسا كانوا من جماعة العبيد الهاربين ، ولم يكن يربطهم بالكهنوت غير المظهر الخارجى ٠ وقص شعورهم على طريقة الكهنة فى ذلك الزمان ، وكانوا يعتبرون الأبروشيات (٧٥) التى يخدمون

---

(٧٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٢٠ ٠
(٧٣) ويقصد بذلك الفترة الواقعة ما بين عامى ٥٩٠ - ١٠٧٣ م ٠
(٧٤) المسيحية فى العصور الوسطى ص ٣٩ ٠
(٧٥) الأبروشية : منطقة من البلاد تخضع لسلطة اسقف ٠

بها ملكا خاصا لهم يتصرفون فيهـــا كما يشـــاؤون ويبيعونهـا لمن يدفع أكثر ، وكان رئيس أساقفة (روين) أميا لا يقرأ ولا يكتب .

ثم يتحدث عن رجال الدين بوجه عام – فى النصـــف الأول من العصور الوسطى – قائلا :

ولا نكون مغالين إن قلنا إن غالبية رجال الدين فى تلك الأيام كانوا من مدمنى الخمر ، مستعبدين للعديد من الخطايا كخطيئة الزنا ، وكانوا يعيشون فى بحبـــوحة من العيش يسعون وراء المتع الزائلة ، مهملين للقيام بواجبات الخـدمة الموكلة اليهم .

واذا سألت : لماذا تقدموا للخدمة الدينية ؟ نقول لك(٧٦) : انهم لم يأخذوها خدمة ولكن وظائف ، وكانوا طامعين فى الربح القبيح يشترون المناصب ، وكانت ظاهرة السيمونية متفشية فى ذلك الزمان (٧٧) .

والسيمونية (٧٨) ، وهى شراء المنـــاصب أو الوظائف الدينية بالمال وهو داء فشا فشوا خطيرا بين رجال الدين

---

(٧٦) الكلام لا زال لجاد المنفلوطى .

(٧٧) المسيحية فى العصور الوسطى ص ٤٠ .

(٧٨) نسبة الى « سيمون » وهو اسم عبرانى معناه « الســـامع » ولفظه فى الأصل هو نفس لفظ الاسم « سمعان » .

وسيمون كان ساحرا فى بلاد الســــامرة ، وقد وردت قصته فى الاصحاح الثامن من سفر اعمال الرسل من بداية الفقرة التاسعة الى الفقرة الرابعة والعشرين . وملخصها : أن سيمون كان يدهش شعب الســامرة بسحره وكان الناس يتبعونه . وحين زار بطرس ويوحنا هذه البـــلاد ورأى ما يقومان به (ولما رأى سيمون انه بوضع أيدى الرسل يعطى الروح القدس قدم لهما دراهم قائلا اعطيانى انا ايضا هذا السلطان حتى اى من وضعت عليه يدى يقبل الروح القدس ، فقال له بطرس لتكن فضتك معــك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم) اعمال ٨ : ١٨ ، ٢٠ . ولذلك اطلقت السيمونية على كل من يتاجر فى الوظائف الكنسية (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٧) .

حتى توصل كثير من المجرمين وغير المؤهلين الى المنـــاصب الدينية الكبرى عن طريق المال (٧٩) .

وقد أشار جيروم الى تلك الظاهرة ـ والتى على أساسها يتمكن أصحاب الأموال الطائلة من الحصول على المنـاصب الدينية ـ قائلا : (من كان بالأمس طالبا تحت التمرين هو اليوم أسقف ، وآخر ينتقل أثناء الليل من مدرج الملهى الى الكنيسة ، وانسان قضى الليل فى السيرك يقف أمام المذبح فى اليوم التالى . وآخر كان من وقت قريب من أنصـــــار المسارح هو الآن مكرس العذارى فى الكنيســــــة والمهتم برعايتهن (٨٠) .

ولم يقتصر الأمر على ذوى المناصب الصغيرة فى الكنيسة بل ان الأساقفة والبابوات أنفسهم كانوا ينحدرون الى هذا المنزلق الخطير .

ولذلك يذكر جاد المنفلوطى (أن الرؤساء لم يكونوا أفضل من مرؤوسيهم بل ربما كانوا أردأ وأشر منهم بكثير ، وكانت السيمونية هى الطريق الوحيد للحصول على منصب الأسقف، وكانت هناك تعريفة محددة للحصول على هذه الوظيفة .

ولم تكن البابوية بمنجاة من هذه المساوىء التى كانت هى الطابع المميز لحياة الكنيسة عامة فى ذلك العصر حيث وصلت حالة البابوية فى القرنين التاسع والعاشر الى أحط دركات الانحطاط) (٨١) .

ثم يقول : (نعم تشوهت صورة البـــابوية وتلطخت بالكثير من التشوهات التى لم تكن تخطر على بال ، وأصبح

---

(٧٩) عن هذه الظاهرة ومحاولة بعض البابوات مكافحتها (راجع د/عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ٢٣٠) .

(٨٠) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٣٦ .

(٨١) المسيحية فى العصور الوسطى ص ٤٠ .

مركز البابا موضع نزاع بين القادة السياسيين المتنافسين وأتباعهم وبعض الذين شغلوا ذلك المنصب فى خلال تلك الفترة لم يكونوا فوق مستوى الشبهات ، بل انهم كانوا من ذوى السمعة السيئة وارتكبوا أفظع أنواع الجرائم وأبشعها) (٨٢) .

وقد وصف لنا أحد الرهبان المسيحيين الحالة التى تردت اليها البابوية طوال العصور الوسطى قائلا : (إن عيش القسوس ونعيمهم كان يزرى بترف الأمراء والأغنياء المترفين ، وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما ، واستحوذ عليهم الجشع وحب المال ، وعدوا طورهم حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع ، وقد تباع بالمزاد العلنى ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك ، وتذاكر الغفران ، ويأذنون بنقض القانون ، ويمنحون شهادات النجاة ، وإجازات حل المحرمات والمحظورات كأوراق النقد ، وطوابع البريد ، ويرتشون ويرابون ، وقد بذروا المال تبذيرا حتى اضطر البابا انوسنت الثامن أن يرهن تاج البابوية .

ويذكر عن البابا ليو العاشر أنه أنفق ما ترك البابا السابق من ثروة واموال ، وأنفق نصيبه ودخله ، وأخذ إيراد خليفته المترقب سلفا وأنفقه ، ويروى أن مجموع دخل مملكة فرنسا لم يكن يكفى البابوات لنفقاتهم وإرضاء شهواتهم) (٨٣) .

هذا هو ما آل اليه حال البابوات ورجال الدين المسيحى بوجه عام فى العصور الوسطى فقد ولعوا بالشهوات والمنكرات ، والتفوا حول موائد الفساد والانحطاط ، وتساقطوا تحت أرجل الرزائل والمكايد ، وانغمسوا فى كافة المفاسد والموبقات .

---

(٨٢) المرجع السابق ص ٤١ .

(٨٣) نقلا عن : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٩١ .

● **استبداد السلطات الكنسية واضطهادها للفكر فى العصور الوسطى :**

انتهينا مما سبق الى أن السلطة تهيأت لرجال الدين فى أوربا ، وأن البابوات كانوا يتمتعون بمنزلة كبيرة ، ودرجة عظيمة ، حيث كان لهم النفوذ الواسع ، والسلطان العظيم فى البلاد الأوربية .

يذكر الشيخ أبو الحسن الندوى أن البابوات ـ بناءا على هذه المنزلة ـ كان يمكن لهم أن ينقدموا بأوربا تقدما صحيحا فى العلم والمدنية تحت ظل الدين لأن نوابهم وممثليهم كانوا يتجولون فى البلاد الأوربية وينزلون من أهلها فى جناب مريع ، وظل ظليل ، ويتفاهمون معهم بلغة واحدة ، ويتدخلون فى أمور سياسية مهمة ، ووجدوا فى كل بقعة أنصارا لهم من ذوى الرأى والسياسة يتكلمون بلغة واحدة ، ويساعدونهم فى مهام الدولة (٨٤) .

كان يمكن للبابوات أن يقوموا بدور فعال فى تقدم الشعوب الأوربية حيث توافرت لهم كل السبل والوسائل للقيام بهذا الدور ، فهم أصحاب نفوذ وسلطان وسيادة وسلطة دينية ودنيوية « ولكنهم أساءوا استعمال هذا السلطان الهائل ، وتلك النفوذ الواسع ، فاستغلوه لأنفسهم ونفوذهم وجاههم » (٨٥) حيث سيطر عليهم حب المال والجاه والسلطان .

وفى سبيل الحفاظ على هذا النفوذ وتوطيده كانوا على أتم الاستعداد لاستخدام كل أساليب التنكيل والاضطهاد لمن تسول له نفسه بالخروج عليهم ، أو مخالفتهم ، أو زعزعة الثقة فى حكمهم وسلطانهم ، فلم يهادنوا المخالفين ، ولم

---

(٨٤) المرجع السابق ص ١٩٢ .
(٨٥) المرجع السابق نفس الصفحة .

يسامحوهم ، وإنما نكلوا بهم من غير رفق ولا رحمة ولا هوادة وأذاقوهم مرارة المخالفة .

قد تتعجب وتقول . كيف يحدث هذا من قوم يعلنون أنهم أصحاب مبدأ التسامح ؟!!

ولكن يزول العجب لو عرفت أن هؤلاء كانوا يرفعون هذا الشعار وقت الأزمات فقط . فحين أحاطهم المقت والاضطهاد فى القرون الميلادية الأولى أعلنوا مبدأ التسامح وصرحوا بأن المعتقد الدينى أمر اختيارى لا سبيل الى إكراه الناس - ولم ينفذوه - ، فلما انتهى الاضطهـــاد فى عصر الامبراطور قسطنطين بموجب مرسوم ميلان سنة ٣١٢ ، وبدأت الكنيسة تظفر بالسلطان ، غيرت سنن شريعتها وتنكرت لمبدأ التسامح حيث سنت القوانين لمحاربة الهرطقة - الخروج على الكنيسة - والتنكيل بدعاتها ، وفرضت رقابتها على آراء الناس فى الكون وظواهره وأسراره ، ثم شرعوا فى وضع سياسة محددة لقهر الفكر ، وكبح العقل .

وسلم الأباطرة والحكومات بهذه النزعة لأســـباب بعضها سياسية . وأخذ المسيحيون ينادون بنظرية مؤداها أن « الخلاص » لا سبيل اليه إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية وحدها ، وروجوا للإيمان بأن الذين لا يستسلمون للكنيسة ، ويعتقدون صحة نظرياتها تحيق بهم اللعنة الأبدية لا محالة فأفضى هذا الاعتقاد بطبيعة الحال الى الاضطهاد والتنكيل بكل من جنح عما اعتمدته الكنيسة من آراء واعتبرت الهرطقة أعظم خطيئة يتعرض أصحابها لأشد صنوف العذاب (٨٦) .

فمنذ أن تهيأت السلطة لهم وهم ينظرون الى مخالفيهم فى العقيدة والرأى والفكر نظرة عداء وكره « وكان البابوات

(٨٦) د/توفيق الطويل : قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ٩٠ دار النهضة المصرية • الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٩ م •

طوال قرون سلطانهم فى حنق (٨٧) مقيم . وتعصب شديد ، وحقد رهيب ضد من تحدثه نفسه بمخالفة الكنيسة أو الخروج عليها أو ضد من تحدثه نفسه بأهون تأمل فى كفاية الكنيسة الذهنية » (٨٨) .

ولو تتبعنا التاريخ المسيحى منذ القرن الرابع لوجدنا سيطرة هذه النزعة على الجو الكنسى الذى بدأ فى هذا الوقت — وبمساعدة بعض الأباطرة — فى سن القوانين لمحاربة الخارجين على الكنيسة والتنكيل بهم .

والمتأمل فى المجامع المسيحية — سواء منها ما كان مسكونيا أو محليا — التى صدرت عن الكنيسة يجد أن معظمها يحمل دائما عقوبات اللعن والطرد والحرمان للمخالفين .

فمنذ المجمع المسكونى الأول — مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م — وقرارات الحرمان واللعن تنزل على المخالفين لقرارات المجامع . وخاصة المجامع المسيحية الأولى (٨٩) التى سارت فى ركاب التبعية لهوى السلطان الذى أيد قراراتها بسلطانه وقوته لأنها حملت وتبنت وقررت ما تصبو اليه نفس السلطان . ويتضح هذا جليا فى مجمع نيقية بالذات الذى تبنى ما هو قريب الى فكر قسطنطين الذى كان وثنيا — على الأقل

---

(٨٧) حنق عليه حنقا : اشتد غيظه ، أحنق : حقد حقدا لا يزول (المعجم الوسيط — الجزء الأول) ص ٢٠٣ .

(٨٨) معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) ص ٩٠٥ .

(٨٩) وذلك لتأثيرها الكبير على الديانة المسيحية بوجه عام فالمجامع المسيحية الأولى — والتى أيدتها قوة السلطان لما تحمل من قرارات تتوائم مع هوى الأباطرة — هى التى وضعت أصول قانون الايمان المسيحى .

آنذاك (٩٠) - حيث قرر قانونية الايمان بألوهية المسيح رغبة ورهبة من السلطان ، وفي الوقت نفسه حكم على المخالفين - وهم الأكثرية (٩١) باللعن والطرد ، كما حكم على كتبهم بتحريمها وتحريم قراءتها ، وحرقها ، والعمل على إبادتها .

والناظر في المجامع المسيحية الأخرى التي عقدت بعد ذلك يجد أنها أيضا لم تخل من مثل هذه القرارات والأحكام .

وقد ساند بعض الأباطرة هذه الاتجاهات الكنسية فأصدروا ونفذوا قرارات الحرمان ونكلوا بالخارجين على الكنيسة والداعين اليه ، لما وجدوا بهذه المساندة من الفوائد السياسية التي تعود على امبراطوريتهم ودولهم .

ففي عهد فالنتيان الأول (في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي) وثيودوسيوس الأول (٣٧٨ - ٣٩٥) صدرت قوانين ضد الخارجين على سلطة الكنيسة ، وتعرضوا للنفي وسلب حقهم في الوراثة وتعرضت أملاكهم للمصادرة ، وأضحوا عرضة للاعدام في بعض الحالات (٩٢) .

---

(٩٠) وذلك لأن (يوسابيوس القيصري) الذي كان معاصرا لقسطنطين وصديقا حميما له يذكر أنه لم يتقبل المعمودية الا على فراش الموت سنة٣٣٧م والتعميد هو اعلان بدخول المسيحية وهذا يعني أن قسطنطين طوال حياته لم يكن مسيحيا (قصة تعميده واردة في كتاب يوسابيوس : حياة قسطنطين ص ١٥٤ ، ١٥٥ . ترجمة مرقس داود . مكتبة المحبة) وقد ذكر هذا الرأي كثير من المؤرخين (راجع على سبيل المثال فشر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى (القسم الأول) ص ٦ ، ٧ وما بعدهما ، ارنولد توينبي : تاريخ البشرية جـ ٢ ص ٢١ - ترجمة نقولا زيادة . الأهلية للنشر والتوزيع . الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٥ م) .

(٩١) حيث وافق على هذا القانون ٣٠٧ أسقفا فقط من مجموع الحاضرين وهم ٢٠٤٨ أسقفا .

(٩٢) قصة الصراع ص ٩١ ، ٩٢ .

يقول جون لوريمر (من سنة ٣٨١ — الى سنة ٣٩٤ م أصدر ثيودوسيوس مجموعة من القوانين ضد الهراطقة — فى نظر الكنيسة — مصادرا كنائسهم ، ومسلما مبانيهم للكاثوليك (أى كما كانت تعرف الكنيسة فى الغرب) فارضا الحظر على اجتماعاتهم ، طاردا الى المنفى أساقفتهم وكهنتهم ، ومصادرا كل الأماكن التى كانوا يقيمون فيها مراسمهم وشعائرهم) (٩٣) .

قد يقول قائل : هذا من حق المسيحيين ، فمن حقهم حماية الدين والذود عن تعاليمه ضد المخالفين !!

والجواب : إن هذا قد يكون صحيحا — جدلا — لو أن الكنيسة اتبعت منهج حماية الدين لا حماية آراء أشخاص تأثروا بمعتقدات وثنية !!

إن هذا قد يكون صحيحا لو أنهم ساروا على طريق تنقية الدين من الشوائب والأفكار الوثنية التى لصقت به لا أن يعملوا على تثبيتها ، واقرارها ، والايمان بها !!

إن هذا قد يكون صحيحا لو أنهم لم يسيروا فى ركاب السلطان ليقرروا ما يرضى عنه أباطرة الرومان — وخاصة قسطنطين ومن جاء بعده — من عقائد حتى ولو كانت وثنية مخالفة لما جاء به المسيح .

إن المسيحيين ضحوا برأى الأغلبية — فى مجمع نيقية — فى سبيل ارضاء السلطان .

ولو فرضنا أن لهم حقا فلا يكن باستخدام أساليب القهر والتعذيب التى لا يلجأ اليها الا المفلس والمعتوه الذى ليس لديه من الفكر والمنطق وقوة الدين وصحته ما يستطيع أن يرد به آراء المخالفين والخارجين .

---

(٩٣) تاريخ الكنيسة جـ ٣ ص ١١٠ .

ولعل الفهم الصحيح لمثل هذه الممارسات القهرية ـ التى حدثت من الكنيسة ضد المخالفين ـ أن أصحاب هذه الديانة آمنوا بما يناقض العقل وأشهروا مبدا الايمان بالقلب دون النظر أو التفكير فيما يؤمنون به ٠

ولذلك كتب أوغسطين (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) (٩٤) الى صديق له يقول (لا تعارض بحجج قوية هائجة فيما لا يزال عسير الفهم عليك ٠٠ أو فيما يبدو لك من الكتاب المقدس من تباين وتناقض بل أجل ذى وداعة لليوم الذى تفهمه فيه !! ٠٠ إن الايمان يجب أن يسبق الفهم ، لا تحاول أن تفهم لكى تؤمن بل آمن لكى تفهم (٩٥) ٠

وقد ذكر د/توفيق الطويل(٩٦) أن نظام الاضطهاد والتعصب تمكن على يد أوغسطين هذا الذى كان يعتبـــر أوسع آباء الكنيسة نفوذا وأعلاهم صوتا (٩٧) إذ كادت تجتمـع عن شروحه للنصوص المقدسة كلمة الذين عرضوا لتفسيرها بعد ٠ والاستشهاد به كثيرا ما يكون فصل الخطاب ومحك الصواب ـ فى نظر رجال الدين المسيحى ـ لأن أقواله ارتفعت بعده الى مرتبة القداسة ٠

بهذه الصولة صاغ أوغسطين مبدأ الاضطهاد لمعاقبـــة المخالفين لفكر الكنيسة ، وحاول أن يدلل عليه ببعض الأقوال التى ألصقت بالمسيح ، إذ ينسب اليه أنه قال فى مثـــل من الأمثال التى كان يسوقها لتلاميذه (أجبروهم على اعتناق دينكم) ٠

---

(٩٤) عن حياته ـ راجع : فجر المسيحية ص ١٦٠ ـ ١٦٣ ٠
(٩٥) قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ١ ص ١٤٢ ٠
(٩٦) قصة الصراع ص ٩٢ ، ٩٢ ٠
(٩٧) وعن أثره وقوة نفوذه فى الغرب يقول ول ديورانت (أما فى الغرب فقد طبع المذهب الكاثوليكى بطابعه الخاصة ، وسبق جريجورى السابع وانوسنت الثالث فيما طلبته الكنيسة من ان تكون لها السلطة العليا على عقول الناس وعلى الدولة ، ولم تكن المعارك الكبرى التى نشبت بين البابوات والأباطرة والملوك الا نتيجة سياسة تفكيره (قصـــة الحضارة مجلد ٤ جـ ١ ص ١٥٠) ٠

ومضت الكنيسة بعد هذا لمحاربة خصومها ٠

وتمشيا مع هذا المنطق المزعوم سلم أوغسطين بمعاقبة الملحد بالنفى ، والجلد ، وفرض الغرامات ، ووضع للكنيسة دستورا تلتزمه إزاء كل حركة عقلية ٠ فصرح فى كتابه (تعليقات على سفر التكوين) بأنه ليس فى الوسع التسليم برأى لا تؤيده الكتب المقدسة لأن سلطانها أقوى من كل سلطان أمر به العقل البشرى ، فمضت الكنيسة بعده تعمل جاهدة لقمع الهرطقة ـ فى نظرها ـ وجندلة دعاتها ٠

وكن لموقف هذا الرجل أبلغ الأثر فى عرقلة النظر العقلى ووقف التقدم العلمى ٠

ومنذ ذلك الوقت أصبح الكتاب المقدس أساس العلم ومصدره ، وكان هذا نذير خطر لكل من تسول له نفسه أن يفكر بعيدا عن الكنيسة ، وأن يأتى بعلم لا توافق عليه الكنيسة ، ولذلك كان موقفها إزاء العلم والفلسفة الاحتقار الصريح ، والاضطهاد والتعذيب لأهليهم ٠

● أطوار الصراع بين البابوية والعلم فى العصور الوسطى الأوربية :

لم يقتصر تعصب الكنيسة على الأمور الدينية وحدها وإنما شمل أيضا الفكر والعلم والمعرفة وكل الشئون الدنيوية لتشهد البلاد الأوربية مزيدا من الصراع ٠

وقد تأخر هذا النوع من الصراع بعض الوقت نتيجة للعصور المظلمة التى سادت أوربا فى تلك الفترة من العصور الوسطى ـ وهى الفترة التى سيطرت فيها الكنيسة على مقاليد الأمور فى البلاد الأوربية ٠

فالعقل الأوربى فى هذه الفترة كان على شفا الاحتضار يعوزه الابداع وتنقصه أصالة التفكير ، فيردد بعض ما انحدر

اليه من تراث القدامى منساقا فى ركاب الكنيسة (٩٨) التى استعبدته وفرضت سيطرتها ورقابتها الصارمة عليه ، فلم يستطع الفكاك ولا التخلص منها لأنها وضعته بين شـــقى الرحى : إما الانصياع لما تقرره الكنيسة دون النظر والتفكير وإما الاضطهاد والتعذيب والحرمان واللعن ٠

وقد آثر العقل الأوربى الخنوع واتقى أسباب النزاع بانصياعه لاستبداد الكنيسة وسيطرتها ، ولذلك بقيت أوربا فى العصور الوسطى تتسكع فى دياجير الجهل والخـــرافة والانحطاط (٩٩) ٠

ويكفى أن يطلع الفرد على كتابات مفكرى العصـــور الوسطى ليدرك مدى التأخر العلمى الذى كانت عليـه بلاد الغرب المسيحية (١٠٠) ٠

ثم بدأت بوادر النزاع تظهر حين استيقظ العقل الأوربى من سباته ، وتأهب لاعلان تمرده ولكن السلطات المسيحيـــة كانت له بالمرصاد حيث استخدمت كل الوسائل لمحاربة العلم وجندلة أهله ٠

وقد صور د/توفيق الطويل أطوار هـــذه المرحلة قائلا : (ومنذ القرن الرابع بدأت الســـلطة تتهيأ لرجال الدين ، وسرعان ما أصبح فى مقدورهم أن ينالوا من خصومهم شر منال ، ولكن العقل الأوربى كان واهنا قد طمست الشيخوخة عبقريته وأفقدته القدرة على اقتحام المصاعب ، فاســتطاب الاستعباد قرونا وأجيالا ، حتى اذا انصرم عصر الآباء وشطر

---

(٩٨) قصة الصراع ص ٩٥ ٠

(٩٩) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٩٢ ٠

(١٠٠) أوربا العصور الوسطى ج ٢ ص ٤١٢ ٠

من العصر المدرسى (١٠١) ـ وبالتحديد فى القرن الثانى عشر الميلادى ـ دبت اليه اليقظة وانبعثت فيه فتوة الشباب ، وهم بإعلان تمرده على خصومه من رجال الكهنوت فحاسنته السلطات الدينية عسى أن تلين قناته ، فلما جهر بالعناد تأهبت لنزاله ، وأجمعت أمرها على دحره اتقاء لما تنتظر من شره) (١٠٢) ٠

ولا شك أن امتداد نفوذ رجال الدين فى أوربا واتساع سلطانهم الدنيوى وهيمنتهم على السلطة المدنية قد مكنهم من فرض سيطرتهم على طلاب العلم والمعرفة ومن إحكام السيطرة على من يتمرد منهم ٠

فقد هيمنت الكنيسة على كل ميادين البحث العلمى(١٠٣) واحتكرت حرية الفكر ، والنظر العقلى ، وفرضت على

---

(١٠١) تبدأ العصور الوسطى ـ كما سبق أن بينا ـ بسقوط الدولة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ م وتستمر نحو عشرة قرون يسمى نصفها الأول بعصر الآباء ، ونصفها الثانى بالعصر المدرسى ، ثم يبدأ عصر النهضة فى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر ، وينتهى بنهاية القرن السادس عشر ، وتبدأ العصور الحديثة بالقرن السابع عشر ولكل عصر خصائص تميزه عن العصر الذى يسبقه والعصر الذى يلحق به (راجع : د/توفيق الطويل : أسس الفلسفة هامش ص ٥٣) دار النهضة العربية ٠ الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٧ م ٠

(١٠٢) قصة الصراع ص ٢٢ ٠

(١٠٣) فقد بسطت الكنيسة نفوذها أيضا على الجامعات الأوربية ٠ وقد أنشئت تلك الجامعات فى القرن الثانى عشر الميلادى حيث ظهرت أولى الجامعات الأوربية فى القرن الثانى عشر فى بولونيا بايطاليا ، وفى باريس بفرنسا ، وقد تفرعت عن الأولى بقية الجامعات الأوربيه فى حوض البحر المتوسط ، في حين تفرعت عن الثانية جامعات شمال أوربا وغربها التى ظهرت أواخر العصور الوسطى ٠

ولم ينته القرن الثانى عشر حتى وجد فى غرب أوربا خمس أو ست جامعات على الأقل هى جامعات سالرنو وبولونيا ورجيو بايطاليا ، وباريس مونتبليه بفرنسا ، واكسفورد بانجلترا (راجع د/عاشور : الجامعات الأوربية فى العصور الوسطى ، أوربا فى العصور الوسطى ج ٢ ص ١٧٤ ـ ١٨٦ ، ٣٤٤ ـ ٣٥٦ ٠

=

العقول رقابتها الصارمة ، وأعاقت كل فكر علمى ، وأقامت فى وجهه السدود ٠

يقول ولز : (كان رجال الدين يضيقون ذرعا بأية معرفة عدا معرفتهم ، لا يثقون بأى فكر لم يصححوه ويراقبوه ، فنصبوا أنفسهم للحد من العلم الذى كانت غيرتهم منه بادية للعيان ، وكان أى نشاط عقلى عدا نشاطهم يعد فى نظرهم نشاطا وقحا) (١٠٤) ٠

وبذلك أوقفوا تقدم المعرفة ، وأوصدوا أبواب العلم ، وحاولوا الحيلولة دون تقدمه حتى العصور الحديثة (١٠٥) ٠

وحين بدت فى الأفق بوادر اليقظة العقلية ـ فى أوربا فى القرن الثانى عشر ـ لتعلن تمردها على هذا الجمود الفكرى نهضت السلطات الكنسية لمقاومتها ، وصدها وردها بكل ما أوتيت من قوة ، واستخدمت فى سبيل ذلك أساليب الاتهام والتعذيب والقتل والسجن وكل أساليب القهر والوحشية ٠

=

وقد فرضت الكنيسة سيطرتها على تلك الجامعات وحولتها الى معاقل للاستبداد وأوكار للرجعية حيث أدركت أن فى خروج هذه الحركة التعليمية من قبضتها تعريضا لسلطانها وتعاليمها للخطر والنقد ٠

ويكفى أن نعرف أن البابوية تمسكت بمبدأ موافقة الأسقف على الطلبة الذين يتقدمون للحصول على الدكتوراه فى القانون من بولونيا بايطاليا ٠ أما باريس فقد ظهر هذا التدخل فى التوحيد بين وظيفتى رئيس الجامعة ورئيس أساقفة باريس ، بمعنى أن الأخير أضحى مشرفا على شئون الجامعة ٠

وكان من المنتظر أن تنتصر الجامعات الأوربية لحرية التفكير ، وتقى دعاتها عدوان خصومها ، ولكن الكنيسة كانت اذ ذاك تحتكر العلم وتهيمن على شئونه فسارت الجامعات فى ركابها وأخذت تتلقى الأوامر والتعليمات من رجالها ، وتلقى على طلابها ما يبيحه هؤلاء وتحبس عنهم ما يحرمونه ٠ ومن هنا نشأت سياسة « التعليم السلمى » الذى جرت عليه الجامعات ، وأصبح أساتذة هذه الجامعات لا يعنون بالحقيقة بقدر ما يعنون بالاستجابة لطاعة الكنيسة واعتناق ما تقره من آراء (راجع أوربا العصور والسطى ج ٢٤٦ ، قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ٤٧ ، ٤٨) ٠

(١٠٤) معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) ص ٩٠٥ ٠

(١٠٥) قصة الصراع ص ٤٥ ٠

وقد شهدت أوربا المسيحية نتيجة لهذا صراعا داميا آثما اتهم وقتل فيه الكثير من المفكرين على يد أصحاب السلطة من رجال الدين المسيحى .

فقد اتهم « ابيلارد » (١٠٧٩ - ١١٤٢ م) الذى نادى بتحرير العمل وناقش بعض المسائل اللاهوتية على أساس من منطق العقل ، فتصدى له رجال الدين واتهموه بالهرطقة ، وانعقد لمحاكمته مجمع سواسون عام ١١٢١ م ، وأدان المجمع رأيه ، وقرر إحراق كتابه - الذى تناول فيه عقيدة التثليث - واستدعى « ابيلارد » وأكره على إلقائه فى النار بيده ، ثم سجن فى أحد الأديرة فى سواسون ولكنه عاد الى مواصلة بحثه فى حدود منهجه العقلى ، ولكن الأسقف برنارد نجح فى عقد مجلس لمحاكمته سنة ١١٤١ م . ثم احتكم الى البابا واستنجد به ، ولكن خصمه قد كشف عما تتضمنه آراؤه من بدع ، وتمكن - فى العام التالى - من استصدار قرار بإدانته ، ووافق البابا على حرمه مع تعاليمه وإلزامه الصمت بعد ذلك (١٠٦) .

ثم جاء بعد ذلك (روجر بيكون ١٢١٤ - ١٢٩٤ م) الذى دعا الى المنهج التجريبى وقد أفضت به دراسته للغة العربية الى الاعجاب بتراث أهلها ، والنفور من طريقة الجدل الارسطاطاليسية ، ومهاجمة الاعتماد على التأمل العقلى وحده . ونزع الى الاحتكام الى التجربة فى كل معرفة نستقيها من الطبيعة ... وقد اتهمته السلطات الكنسية بمزاولة السحر ، وانعقد مجلس فرنشسكانى ، وقرر حرم كتاباته مع حبسه فى غرفته فلبث سجينا من عام ١٢٧٧ الى عام ١٢٩٢ م (١٠٧) .

---

(١٠٦) المرجع السابق ص ٩٩ ، راجع أيضا : يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط ص ١٠٣ . دار الكاتب المصرى . الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦ م .

(١٠٧) راجع قصة الصراع ص ١٠٠ ، تاريخ الفلسفة الأوربية ص ١٥٣ وما بعدها .

ولا شك أن هذه المحاولات قد فتحت المجال أمام العقل الأوربى لاعلان تمرده على استعباد السلطات الكنسية له ٠

ولم تسكت تلك السلطات إزاء هذا التمرد حيث نهضت لمقاومته والوقوف ضده مما زاد من حدة الصراع بينهما ٠

● **الأسباب التى أدت الى هذا الصراع :**

لاحظنا مما سبق أن السلطة التى تهيأت لرجال الدين المسيحى ، إضافة إلى جمودهم ، وتعصبهم ، واستبدادهم التعسفى ، واضطهادهم لأصحاب الفكر والعلم ٠ له دور فى هذا الصراع ٠

ولكن ينبغى أن ننظر الى هذا الموضوع من زاوية أوسع وأشمل ، وذلك بالرجوع الى الجذور الرئيسية ، والأسباب الحقيقية التى أوصلت الأمور الى هذا الحد حتى تستبين الحقائق وتتضح الأمور ٠

أولا :

فى نظرنا أول هذه الأسباب راجع الى التحريف والتغيير والتبديل الذى لحق بديانة المسيح بعد رفعه عليه السلام ٠

إن أيدى البشر امتدت الى دين الله الذى جاء به المسيح عليه السلام فشوهت صورته ، وطمست معالمه ، وغيرت شرائعه ، وبدلت حقائقه ، وحولته من « دين سماوى يعتمد فى أصوله وأحكامه على الله الى دين وضعى أرضى نبت وغذى من أفكار بشرية وثنية » (١٠٨) ٠

إن الدين ــ المنزل من عند الله ــ يسر يتميز بالسهولة ، والبساطة ، وعدم علو فهمه على الافهام ، ووحدة المصدر

---

(١٠٨) د/بركات عبد الفتاح : الحركة الفكرية ضد الاسلام (أهدافها ومقاومتها) ص ٢١٠ ٠ دار التراث العربى ٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ م٠

الالهى ، وعدم التناقض مع العقل ، فلا يتعارض مع أوليات الحقائق ، وبديهيات الأمور ٠

أما المسيحية فهى نتاج مركب من الأساطير ، والخرافات والأديان والفلسفات الوثنية ٠

يقول ول ديورانت (إن المسيحية لم تقض على المسيحية بل تبنتها ، ذلك أن العقل اليونانى المتحضر عاد الى الحياة فى صورة جديدة فى لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التى ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة أداة الآداب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية طقوس القداس الخفية الرهيبــــة ٠٠٠ وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على احداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ، فجـــــاءت من مصر آراء الثالوث ، وعبادة أم الطفل ، ومنها أيضا اســـتمدت الأديرة نشاطها ، والصورة التى نسجت على منوالها ٠٠ ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمى ٠ ومن سوريا جاءت عقيدة موت الاله بعثه ٠٠٠ الى أن قال (وقصارى القول : إن المسيحية كانت آخر شىء ابتدعه العالم الوثنى القـــديم) (١٠٩) ٠ ولذلك جاءت عقائدها بالغة الصعوبة والتعقيد ، كما أنهـــا متناقضة مع العقول متعارضة مع بديهيات الأمور وحقــائق الأشياء ٠

يقول شارل جنيبير (أنشأت الكنيسة مجموعة عقائدية جديدة بالغة التعقيد) (١١٠) ٠

ويقول الجاحظ (لو جهدت بكل جهدك وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم فى المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حــد

(١٠٩) قصة الحضارة مجلد ٣ جـ ٣ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ٠
(١١٠) شارل جنيبير : المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٧ ٠ ترجمة د/عبد الحليم محمود ٠ المكتبة العصرية ٠ صيدا - بيروت ٠

النصرانية وخاصة قولهم فى الإلهية) (١١١) .

وقد أقر المسيحيون بعلو بعض العقائد عن الافهـــام وتناقضها مع العقول .

يقول القس وهيب عطا الله (إن التجسد قضية فيهـــا تناقض مع العقل والمنطق ، والحس ، والمادة ، والمصطلحات الفلسفية ، ولكنا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن ولو لم يكن معقولا) (١١٢) .

ويقول القس توفيق جيد (إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه ، وإن من يحاول ادراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كله فى كفه) (١١٣) .

ويقول نقولا يعقوب (لست أحاول الآن تفسير عقيـــدة لم يستطع تفسيرها الأوائل ولن يتوصل الى ادراك كنههـــا الأواخر) (١١٤) .

وهكذا صرح المسيحيون بعدم استطاعتهم لفهم عقائدهم، والتعبير عن كنهها ، وحقيقتها ، ولذلك يعجزون عن توضيحها وإقناع الناس بها .

وفى هذا الموضوع نقل الشيخ رحمت الله الهندى قصـــة توضح عجزهم الحقيقى عن توصيل عقيـــــدة التثليث الى الافهام ونصها كما يلى :

---

(١١١) الجاحظ : المختار فى الرد على النصارى ص ٩٥ . تحقيق : د/محمد عبد الله الشرقاوى . دار الصحوة للنشر والتــوزيع . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م .

(١١٢) القس وهيب عطا الله : طبيعة السيد المسيح ص ١٨ .

(١١٣) توفيق جيـد : سر الأزل ص ١١ .

(١١٤) نقولا يعقوب : ابحاث المجتهدين فى الخلاف بين النصارى والمسلمين ص ٦٦ مطبعة المعارف سنة ١٩٠١ .

نقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث أيضا ، وكانوا فى خدمته ، فجاء محب من أحباء هذا القسيس وسأله عمن تنصر ؟ فقال : ثلاثة أشخاص تنصروا .

فسأل هذا المحب : هــل تعلموا شـيئا من العقـائد الضرورية ؟ فقال : نعم ، وطلب واحدا منهم ليرى محبـه فسأله عن عقيدة التثليث . فقال : إنك علمتنى ان الآلهـة ثلاثة أحدهم الذى هو فى السماء والثانى تولد من بطن مريم العذراء ، والثالث الذى نزل فى صورة الحمـام على الاله الثانى بعدما صار ابن ثلاثين سنة ، فغضب القسيس وطرده، وقال هذا مجهول ، . ثم طلب الثانى منهم وسأله فقـال : إنك علمتنى ان الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقى إلهان ، فغضب عليه القسيس أيضا وطرده . ثم طلب الثالث وكان ذكيا بالنسبة الى الأولين وحريصا فى حفظ العقـائد فسأله : فقال يا مولاى حفظت ما علمتنى حفظا جيدا وفهمت فهما كاملا ، ان الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، وصلب واحـد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ولا إله الآن وإلا يلزم نفى الاتحاد (١١٥) .

فهم يعجزون عن تعليمها وتصويرها وبيانها .

ولذلك قال د/محمد مجدى مرجان ـ الذى كان مسيحيا وأنعم الله عليه بالاسلام ـ لقد قمت بمناقشة كثير من الأخوة المسيحيين فى مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة ، تارة حين كنت محسوبا فى الجماعة المسيحية ، وتارة بعد انسـلاخى عنها ، وكثير من هؤلاء المسيحيين أصـدقاء وأقارب يولونى ثقتهم ويصدقونى الحديث فأخبرونى أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس ، وان كثيرين منهم يعيشون فى صراع

---

(١١٥) الشيخ رحمت الله الهندى : اظهار الحق جـ ١ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ تحقيق : د/أحمد السقا ، دار التراث العربى سنة ١٩٧٨ م .

بين عقولهم وموروث معتقداتهم ، وحين تناقشت فى ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبرونى أنه يجب الايمان بالثالوث دون أى تمحيص أو تفكير ، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثى تسليما مطلقا أى تسليما أعمى ، فعلى المسيحى ان يؤمن ويعتقد أولا فى الثالوث المقدس ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقد ، فإذا لم يفلح فى ذلك فإنه خير له أن يلغى عقله ، ولا يلغى عقائد الآباء ، وتراث الأجداد ، وتعاليم القسوس (١١٦) .

ولقائل أن يقول : إن الأديان كلها بما فيها الاسلام لا تخلو من مغيبات ، أو حقائق لا يستطيع العقل إدراكها . ولكن يدفع هذا القول ان هناك فارقا بين ما يحكم العقل باستحالته كالتثليث ، وبين ما لا يستطيع العقل ادراكه . والاسلام وإن كان فيه من الأخير فإنه يخلو تماما من الأول فليس فيه ما يحكم العقل باستحالته أبدا (١١٧) .

ويكفى أن نقول إن عقيدة التثليث ـ وهى من أهم عقائد الديانة المسيحية ـ تتصادم مع أبسط قواعد العقل والمنطق والحساب ، فكيف تكون الثلاثة واحدا ، والواحد ثلاثة !! إن أبسط قواعد العقل أن الواحد لا يكون ثلاثة ، والثلاثة لا تكون واحدا .

وقواعد الحساب تقول إن ١ + ١ + ١ = ٣ وليست هناك قاعدة حسابية تقول انها تساوى واحدا . كما أن قوانين العقل البشرى ترفض رفضا باتا اتحاد الاله بعيسى وظهوره فى صورته .

---

(١١٦) د/محمد مجدى مرجان : الله واحد ام ثالوث ص ٧٣ ـ دار النهضة العربية سنة ١٩٧٢ م .

(١١٧) د/سفر عبد الرحمن : العلمانية ـ نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الاسلامية المعاصرة ص ٤١ جامعة أم القرى . كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢ م .

فقانون الذاتية يحدد لكل موجود ذاتيته الخاصة التى لا يمكن أن تختلط بغيرها أو تتحد مع ذاتية أخرى ، ولكن هؤلاء يهدمون هذا القانون ، ويدعون أن ذاتية الاله قد اتحدت مع عيسى وظهرا فى صورة واحدة وهو خروج على مبـــادىء العقل وقوانينه (١١٨) .

لقد وقر فى نفوس المسيحيين أن السلامة فى ترك الفكر والأخذ بالتسليم ، وتقرر عند القوم قاعدة (إن الجهــــالة أم التقوى) (١١٩) .

ولعل هذا وغيره هو الذى دعا أحد الباحثين الى القول (لولا أننا نرى بأعيننا أناسا يقرون هذه العقيدة ويدينون بها ما صدقنا أن العقول البشرية تقبل عقيدة كهذه) (١٢٠) .

وعندما هم العقــــل الأوربى الى الاستيقاظ من سباته – فى نهــــاية العصور الوسطى – وجد نفســـه يسلم بهذه المعتقدات التى لا تنسجم مع التفكير السليم ، والمنطق المقبـــول .

ولذلك حدث الصراع بين الموروثات القــــديمة التى لا تتوائم مع العقل ، ولا تتفق مع قواعد الفكر والمنطق ، وبين العقل الأوربى الذى أراد أن يجعل لنفسه هوية ازاء هـــذه الموروثات .

---

(١٢٠) الشيخ عبد الرحمن الجزيرى : أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق ص ٢٠١ . مطبعة الارشاد . الطبعة الاولى سنة ١٩٣٤ م .

(١١٨) د/سعد الدين صالح : مشكلات العقيدة النصرانية ص ٨٥ ، ٨١ مطبعة دار البيان . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ م .

(١١٩) الامام محمد عبده : الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ٢٨ ، ٢٩ (وهى مجموعة مقالات نشرت فى مجلة « المنار » الاسلامى ثم جمعت فى كتاب صدر عن دار المنار) الطبعة الثامنة . مكتبة صبيح سنة ١٩٥٤ م .

ثانيـــا :

ان تحريف التوراة المنزلة على موسى عليه الســـلام ، إضافة إلى ضياع الانجيل الصحيح المنزل على عيسى عليـــه السلام له أثر فى خلق هذا الصراع ٠

ذلك أنه دست بعض المعلومات المتعلقة بالعلم فى الكتب المقدسة لديهم ، وقد تشبث رجال الدين المسيحى بصحـــة هذه الكتب وصحة ما جاء فيها ، ولذلك فهى فى نظـــرهم معصومة من الخطأ ٠

يقول أوغسطين (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) ـ فى خطابه الثـانى والثمانين ـ إن مؤلفات الكتب المقدسة هذه التى تعـــرف بالقانونية هى فقط التى تعلمت أن أعطيها انتباها واحتراما كاعتقادى الجازم بأنه ليس هناك أحد من كتابها قد أخطأ ٠ فعندما ألتقى فى هذه الكتب بدعوى مناقضة للحقيقـــــة فإننى عندئذ أشك فى أن نص نســـختى يحتـــوى على خطأ أو أن المترجم لم يترجم النص الأصلى بشكل صحيح ، أو أن مقدرتى على الفهم تتسم بالضعف (١٢١) ٠

لم يكن معقولا إذن بالنسبة لأوغسطين وأبناء دينــه المسيحى أن نصا مقدســـا عندهم قد يحتـــوى على غلط أو خطأ ٠

ولكن التقدم العلمى كشف عن وجود نقاط خـــلاف بين كتبهم المقدسة والعلم ، كما كشف عن وجود أخطاء علميـــة فى هذه الكتب ٠

---

(١٢١) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعـــارف الحديثة ص ٥٧ دار المعارف سنة ١٩٧٨ م ٠

وقد خلق هذا الوضع الخطير نوعا من العداء بين رجال الدين وأصحاب الفكر .

وقد صور الشيخ أبو الحسن الندوى (١٢٢) هذا العداء مشيرا الى مسئوليه رجال الدين عن هذا الصراع والنتائج المترتبة عليه قائلا : ان من أعظم أخطاء رجال الدين فى أوربا ومن اكبر جنايتهم على انفسهم وعلى الدين الذى كانوا يمثلونه انهم دسوا فى كتبهم الدينية المقدسة معلومات بشرية ومسلمات عصرية عن التاريخ ، والجغرافيا ، والعلوم الطبيعية ، وربما كانت أقصى ما وصلوا إليه من العلم فى ذلك العصر ، ولكنها ليست أقصى ما وصل إليه العلم الانسانى .. ذلك أن العلم الانسانى يختلف من عصر إلى عصر ، ومن زمن لآخر ، ومن بنى عليه دينه فقد بنى قصرا على كثيب مهيل من الرمل .

فجناية رجال الدين المسيحى على دينهم وعلى أنفسهم كانت كبيرة إذ أن ما دسوه فى كتبهم كان سببا فى الصراع بين الدين والعلم والنتائج المترتبة على ذلك .

ولم يكتف رجال الدين بما أدخلوه فى كتبهم المقدسة بل قدسوا كل ما تناقلته الألسن ، واشتهر به الناس ، وذكره بعض شراح الكتاب المقدس ومفسريه من معلومات جغرافية وتاريخية وطبيعية ، وصبغوها بصبغة دينية ، وعدوها من تعاليم الدين وأصوله التى يجب الاعتقاد بها ونبذ كل ما يعارضها ، وألفوا فى ذلك كتبا ، وتآليف ، وسموا هذه الجغرافية التى ما أنزل الله بها من سلطان الجغرافية المسيحية ، وعضوا عليها بالنواجذ وكفروا كل من لم يدن بها .

---

(١٢٢) ماذا خسر العالم ص ١٩٣ .

ثالثـــا :

يضاف إلى ذلك كله ما ذكرناه سابقا من أن رجال الدين فرضوا الوصاية الطاغية على ما ليس داخلا فى اختصاصهم، ونصبوا من أنفسهم حكاما على كل نشاط أو فكر علمى ٠

وقد نشأ ذلك نتيجة لضيق صدر الكنيسة مما يخـــالف تعاليمها ، وإصرارها الأعمى على التشبث بآرائها ـ تلك الآراء التى تكونت ـ كما ذكرنا ـ من الأساطير والخرافات والأديان الوثنية ـ فكان الامتداد الطبيعى للطغيان الدينى طغيانا فكريا عاما ، ولذلك حاسبت الناس لا على معتقدات قلوبهم فحسب ، بل على نتائج قرائحهم وبنات أفكارهم ، وتوهمت أن فى قدرتها أن تملك ما لا تستطيع أية قوة طاغية أن تحتكره وهو الحقيقة العلمية فيما يتعلق بالتجـــــربة المحسوسة أو النظر العقلى السليم وبذلك أقحمت نفسها فى متاهات كانت غنية كل الغنى عن عبـــورها ، وأثارت على نفسها حربا ضروسا لا هوادة فيها ولا تمييز (١٢٣) ٠

وقد أرجع « ولز » طغيان رجال الدين واســـتبدادهم التعسفى ضد كل فكر مخالف إلى حالة رجال الدين وما جبلوا عليه من تعصب وما آلوا إليه من حب للسلطة حيث جبلوا على التسليم المطلق بما تقرره الكنيسة دون التفكير فى صحتـه أو عدم صحته ، كما أن الظروف السياسية قد هيأتهم لحب السيادة والسلطة والحفاظ عليها ٠

يقول ولز (لقد أصبح القساوسة والأساقفة على التدريج رجالا مكيفين وفق مذاهب واعتقاديات حتمية (١٢٤) وإجراءات مقررة ثابتة حتى إذا ما آن أوان توليهم منصب الكرادلة أو

---

(١٢٣) العلمانية نشاتها وتطورها ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ٠

(١٢٤) الاعتقاد الحتمى أو القطعى : مجموعة المبادىء التى تعدها الكنيسة صحيحة تتجاوز كل ريب وتلزم كل انسان باعتناقها ولا تقبـــل فيها نقـاشـا ٠

البابوات ، إذا بهم فى العادة كهول قد ألفوا من الكفـــــاح السياسى ذلك الضرب الذى يقصد إلى غاية قريبة مباشرة ولم يعودوا أهلا لقبول آراء رحيبة يشمل أفقها العالم بأسره ، ولم تعد لهم بعد رغبة فى رؤية مملكة الرب موطدة فى قلوب الناس ، فقد نسوا ذلك الأمر ، وأصبحوا يرغبون فى رؤية قوة الكنيسة التى هى قوتهم هم متسلطة على شئون البشر ، وكانوا فى سبيل توطيد تلك القوة على أتم استعداد للمساومة مع أى شىء حتى البغض والخوف والشـــهوات المســـتقرة فى قلوب البشر (١٢٥) .

ثم يكشف « ولز » الغطاء ليظهر لنا السبب الحقيقى وراء هذا التعصب الأعمى من جانب رجال الدين المسيحى مشيرا إلى أن سبب تعصب رجال الدين وبغضهم للمخالفين راجع الى أن كثيرا منهم على الأرجح يسرون الريبة فى سلامة بنيــــان مبادئهم الضخم ، وصحته المطلقة ، ولذلك لم يسمحوا بأية مناقشة فيه ، كانوا لا يحتملون أسئلة ولا يتســـامحون فى **مخالفة ، لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم بل لأنهم كانوا غيـــر واثقين منها ، وكانوا يريدون ممن حولهم موافقتهم على رأيهم** لأسباب تتصل بالسياسة .

وقد تجلى فى الكنيسة عندما وافى القرن الثالث عشر ما يساورها من قلق قاتل حول الشكوك الشديدة التى تنخـر بناء مدعياتها بأكمله ، وقد تجعله أثرا بعد عين ، فلم تكن تستشعر أى اطمئنان نفسى ، وكنت تتصيد الهراطقة فى كل مكان ، كما تبحث العجائز الخائفات ــ فيما يقـــال ــ عن اللصوص تحت الأسرة وفى الدواليب قبل الهجـــوع إلى فراشهن (١٢٦) .

---

(١٢٥) معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) ص ٩٠٢ .
(١٢٦) المرجع السابق ص ٩٠٣ .

● الوسائل التى استخدمتها الكنيســـــة لقمع الفكر المخالف فى العصور الوسطى :

أولا : الحرمان من الكنيسة وأنواعه :

اعتمدت الكنيسة فى بداية أمرها لمحاربة الفكر المخالف على ما يسمى بوسائل الإرهاب الروحى والتى تقوم أســاسا على الحرمان واللعن والطرد من الكنيسة ٠

يذكر الكاتب المسيحى جاد المنفلوطى أن القــــانون الكنسى (١٢٧) كان يتضمن عددا من العقوبات التى توقع على

---

(١٢٧) نمت الى جانب الطقوس الدينية المسيحية طائفة من الشرائع الكهنوتية التى تنظم أعمال الكنيسة وقراراتها وهى التى سميت فيما بعد بالقانون الكنسى ٠

وقد ذكر ول ديورانت أن القانون الكنسى نشأ شيئا فشيئا من العادات الدينية القديمة ، ومن فقرات فى الكتاب المقدس ، وآراء آباء الكنيسة ، وقوانين رومة أو القبائل المتبربرة ، وقرارات مجالس الكنيسة ، وقرارات البابوات ، وآرائهم وعدلت أجزاء من قانون جستنيان لكى تشرف على سلوك رجال الدين ، وأعيدت صياغة بعضها الآخــر لكى يتفق مع آراء الكنيسة فى الزواج ، والطلاق ، والوصايا ، وأعيدت مجموعات من الشرائع الدينية فى البلاد الغربية فى القرنين السادس والثامن ، كما أعد أباطرة بيزنطية من حين الى حين مجموعات مثلها فى بلاد الشرق ، وصيغت قوانين الكنيسة الرومانية فى صيغتها النهائية التى كانت عليها فى العصــــور الوسطى على يد « جراتيان » حوالى عام ١١٤٨ م الذى كان راهبا من رهبان بولونيا ، وكان عنوان كتابه (التوفيق بين القواعد المتعارضة » أو « التوفيق بين القوانين الكنسية المتعارضة » ثم أطلقت عليه الأجيال المتأخرة اسم « القرارات » وقد جمعت فيه ما أصدرته الكنيسة من قوانين ، وما كان لها من عادات ، وما أصدرته المجالس الدينية والبابوات حتى عام ١١٣٩ م من قرارات خاصة بالعقائد الدينية ، والطقوس ، والأنظمة ، والقواعد الادارية ، والمحافظة على أملاك الكنيسة ، واجراءات المحاكم الكنسية ، وما لها من سوابق ، وتنظيم حياة الرهبنة ، وعقود الزواج ، وقـــواعد الوصية ٠

ولم تتخذ الكنيسة فى العصور الوسطى هذا الكتاب مرجعا نهائيا ، ولكنه أصبح فى الفترة التى كان قائما فيها نصا لا غنى عنه ، ويوشك أن

=

كل من يخرج على نظامها ، وهذه العقوبات كانت تتراوح بين الإيقاف المؤقت ، وبين الفرز أو القطع أو الفصل من عضوية الكنيسة ، وكانت لكل مخالفة عقوبتها المناسبة ، وكانت عقوبة الحرمان أو الفرز شيئا رهيبا بالنسبة لأهالى العصور الوسطى،وكانت الكنيسة تحذر أعضاءها منمخالطةالمحرومين والتعامل معهم ، ولذلك كان المقطوع من عضوية الكنيسة يجد نفسه وقد نبذه الجميع وتجنبوه . وفى بعض البلاد كان مثل هذا الانسان يحرم كافة الحقوق الشرعية ، ويعتبر خارجا على القانون العام أى أنه كان ينبذ من المجتمع البشرى كله فى هذه البلاد .

هذا فضلا عن حرمانه من المشاركة فى الأسرار الكنسية والطقوس المسيحية ، ولذلك كان الاعتقاد السائد بين الناس أن الحرمان يعنى حرمان المرء من السعادة الأبدية وأنه يمضى بموته إلى العذاب الأبدى .

والحرمان الصادر من الكنيسة أو رجال الدين نوعان :

١ – الحرمان الأصغر :

وعلى أساسه يمنع المسيحى من الاشتراك فى العشاء الربانى وفى طقوس الكنيسة ، وكان من حق كل رجل من رجال الدين أن يصدر هذه العقوبة ، وكان معناها عند

=

يكون نصا مقدسا ، وأضاف اليه جريجورى التاسع (١٢٣٤ م) وننيفاس الثامن (١٢٩٤ م) وكلدنت الخامس (١٣١٣ م) ملاحق من عندهم ، وقد نشرت هذه الملاحق وبعض اضافات أقل منها شأنا مع كتاب (جراتيان) فى عام ١٥٨٢ م باسم « مجموعة من القوانين الكنسية مقابلة لمجموعة قوانين جستنيان المدنية » وفى ٢٠ مايو ١٩١٨ م أصبحت مجموعة القوانين الكنسية المعدلة هى قانون الكنيسة الرسمى (قصة الحضارة مجلد ٤ ج ٥ ص ٤٥ ، ٤٦ .

راجع أيضا : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ص ٢٤٩ – ٢٥١ .

المسيحيين العذاب الدائم فى نار الجحيم إذا مات الآثم - فى نظر المسيحيين - قبل العفو عنه ٠

٢ - الحرمان الأكبر :

أما الحرمان الأكبر (وهو الحرمان الوحيد الذى تستخدمه الكنيسة فى هذه الأيام) فلا يصدره إلا مجلس دينى أو مطارنة أعلى مرتبة من القساوسة ، كما أنه لا يصدر إلا على أشخاص داخل دائرة هذه المجالس أو أولئك المطارنة٠ فإذا صدر أبعد المحروم من كل اتصال قانونى أو روحى بالمجتمع المسيحى ، فلا يستطيع أن يقاضى ، أو يرث ، أو يعقد عقدا صحيحا من الوجهة القانونية ولكنه يجوز لغيره أن يقاضيه ، ويحرم على أى مسيحى أن يؤاكله ، أو يكلمه ، وإلا حق عليه الحرمان الأصغر ٠

ولذلك لما صدر قرار الحرمان على (روبرت الثانى ٩٩٦ - ١٠٣١ م) ملك فرنسا فى عام ٩٩٨ م لزواجه من برثا ابنة عمه - لأنهم كانوا يعدونها ساحرة - تركه جميع رجال حاشيته ، وجميع خدمه تقريبا - كما يقول ول ديورانت - وكان الخادمان اللذان بقيا عنده يلقين فى النار ما يتبقى من طعامه بعد كل وجبة من وجبته حتى لا تدنسهما هذه البقايا - كما كانوا يعتقدون - ٠

وكانت الكنيسة فى الحالات القصوى تضيف إلى الحرمان عقوبة اللعنة ، وهى عقوبة ذكر فيها بعناية كل ما يتصل بهذه العقوبة (١٢٨) ٠

ولم تكن قرارات الحرمان التى تصدرها الكنيسة خاصة بالأفراد فقط ، وإنما شملت أيضا مجتمعات بأكملها ٠

---

(١٢٨) قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ٣ ص ٢٦١ ، جـ ٥ ص ٤٧ ، ٤٨

يقول ول ديورانت (وكان آخر ملجأ للكنيسة هو حق البابا فى أن يصدر قرار تحريم على أية بقعة من العـــالم المسيحى أى أن يمنع إلى أجل جميع الخدمات الدينيـــة أو الكثرة الغالبة منها) (١٢٩) .

وقد استخدم البابا (جزيجورى الســـابع ١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) الحرمان الفردى والجماعى لتوطيد سلطة البابا ولإجبار الناس على الاعتراف بسمو البابوية وكونها مصدرا لجميع السلطات السياسية والدينية .

يقول د / سعيد عاشور (حقيقة إن هذين السلاحين لم يكونا جديدين على الكنيسة ، ولكن جريجورى الســـابع استخدمها فى عنف وقوة وبطريقة فعالة .

أما السلاح الأول فهو توقيع عقوبة الحرمان (أو القطع) بطريقة فردية شخصية ، أى ضد فرد معين مقصود بالذات ، وعندئذ يصبح هذا الشخص منبوذا مطـــرودا من المجتمع المسيحى .

أما السلاح الثانى : فهو عقوبة الحرمان الاجماعى التى توقع على مجتمع بأكمله ، سواء كان هذا المجتمع مدينة ، أو إقليما ، أو مملكة بأسرها . وفى هذه الحالة تغلق الكنائس أبوابها فى ذلك المجتمع ، ويضرب رجالها عن تأدية أعمالهم ، فلا يجد الناس أحدا يقضى مصالحهم المرتبطة بالكنيســـة كمراسيم التعميد ، والزواج ، والشعائر الجنائزية ، فضـــلا عن انقطاع الروابط التى تربط ذلك المجتمع ببقية العـــالم المسيحى) (١٣٠) .

وكان البابوات يصدرون قرارات الحـــرمان لأغراض سياسية كما حدث حين هدد (أنوسنت الثـــانى ١١٣٠

(١٢٩) المرجع السابق مجلد ٤ جـ ٥ ص ٤٨ .
(١٣٠) أوربا العصور الوسطى جـ ٢ ص ٢١٩ .

- ١١٤٣ م) مدينة بيزا بإصدار قرار التحريم عليها إذا لم تنضم إلى الجامعة التسكانية .

وبلغت قرارات الحـــرمان بالجملة - للغش فى الأموال التى كانت تتقاضاها الكنيسة من الأهالى - من الكثرة أن أضحت أقسام كثيرة من المجتمع المسيحى محرومة كلها فى وقت واحد (١٣١) .

---

(١٣١) قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ٥ ص ٤٨ .

ثانيا : محاكم التفتيش (١٣٢) :

محاكم التفتيش (   ) اصطلاح مشتق من كلمة لاتينيـــــــة (   ) بمعنى « يبحث - يتقصى - يفتش » (١٣٣) ٠

وهى واحدة من أخطر الوسائل التى اســـــتخدمتها السلطات الكنسية لإحكام قبضتها ولمحاربة الفكر وجنـدلة أهله (١٣٤) ٠

وقد أسسها البابا (لوسيوس الثالث ١١٨١ - ١١٨٥م) ثم (أنوسنت الثالث ١١٩٨ - ١٢١٦ م) (١٣٥) وخاصة فى المجمع اللاتيرانى (١٣٦) الرابع سنة ١٢١٥ م ٠ واستمرت فى قمع الفكر المخالف بالحديد والنار والارهاب عدة قرون (١٣٧)

وفى البداية كان الأمر موكولا للأســـاقفة لكى يعلنوا الحرب على من كانت تعتبرهم الكنيسة من وجهة نظرهــا هراطقة ومنحرفين (١٣٨) ٠

---

(١٣٢) ويسميها بعضهم دواوين التحقيق فى محاولة لاخفـــــاء حقيقتها ٠

(١٣٣) د/اسحاق عبيد : محاكم التفتيش : نشأتها وتطورها ص ٣٩ الطبعة الأولى - دار المعارف سنة ١٩٧٨ م ٠

(١٣٤) قصة الصراع ص ١٩ ٠

(١٣٥) ويرتبط اسم البابا أنوسنت الثالث بقيام محاكم التفتيش بصفة رسمية فهو الذى أرسى قواعدها وأشرف على قيامها ٠

راجع محاكم التفتيش ص ١٤ ، ١٥ ٠

(١٣٦) واللاتيران : هو قصر البابوات الأول فى روما ، ثم احتلوا الفاتيكان فيما بعد ٠

راجع هامش معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) ص ٨٥٦ ، كرستو فردوس : تكوين أوربا ص ٢٨٥ ، ترجمة ومراجعـــة د/مصطفى زيادة ، د/سعيد عبد الفتاح عاشور (سلسلة الألف كتاب) مؤسسة سجل العرب سنة ١٩٦٧ م ٠

(١٣٧) محاكم التفتيش ص ٣٩ ٠

(١٣٨) المسيحية فى العصور الوسطى ص ١٠١ ٠

ففى سنة ١١٦٢ م كتب لويس السابع (١١٣٧ - ١١٨٠م) ملك فرنسا إلى البابا اسكندر الثالث (١١٥٩ - ١١٨١ م) بأن المانويين (١٣٩) فى فلاندرز باتوا يستوجبون اهتمـــاما خاصا . ثم حذر البابا بقوله (لأن فكر المانوية كالوباء يجب استئصاله قبل أن يستشرى شره ، وإنى أهيب بك أن تخولوا صلاحيات كاملة لكبير أساقفة (ريمز) لمعالجة الموقف فى حزم بالغ لتحطيم من يتمردون ضد الله فى قسوة بالغـــة وإن تهاونتم فى الأمر فإن هذا سوف يؤدى إلى ضرر بالغ يلحق بالكنيسة قد لا تحمد عواقبه) .

وبالفعل تحرك البابا اسكندر الثالث وعقد مجمعـا فى تورز سنة ١١٦٣ م برئاسته شخصيا وقرر المجتمعون تكليف الأساقفة والأمراء الإقطاعيين باتخاذ أقصى درجات الحيطـة

---

(١٣٩) المانوية نسبة الى مانى الفارسى . الذى ولد عام ٢١٥ أو ٢١٦ ، وأعدم عام ٢٧٧ م ، وقد ادعى مانى النبوة وأعلن انه أتى بديانة جديدة ، واعتبر نفسه (البارقليط) الذى بشرت به الكتب المسيحية ودعى أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهم أزليان لم يزالا ولن يزالا ، وقد كون ديانته التى نادى بهـــا من الزرادشتية ، والبوذية واليهودية والمسيحية .

كانت مبادىء مانى هى أصل لأفكار الجماعات التى خرجت على الكنيسة فى هذه الفترة - النصف الثانى من العصور الوسطى - حيث انتشرت مبادىء المانوية فى أوربا انتشارا واسعا وكان القوم الذين يعتنقونها فى جنوبى فرنسا يسمون بالكاثاريين ، أو الالبيجنسيين .

يقول د/اسحاق عبيد : (لقد شهد القرن الثانى عشر حركة غضب جارف ضد الكنيسة امتد نطاقه فى ربوع البلقان ، وشمال ووسط ايطاليا وجنوب فرنسا واسبانيا وبلاد الراين وأواسط المانيا) .

راجع محاكم التفتيش ص ١٨ . عن المانوية ومذهبها . راجع : الملك والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٢٤٤ تحقيق محمد سيد كيلانى . مكتبة الحلبى سنة ١٩٧٦ م ، د/بركات عبد الفتاح : الوحدانية مع دراســـة الأديان والفرق ص ٥٧ دار النهضة المصرية سنة ١٩٧٧ م ، د/فتحى الزغبى : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للاسلام ص ٥٧٢ وما بعدها الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ م .

والشدة فى مطاردة المانويين - وغيـــــرهم (١٤٠) - الذين انتشروا فى أوربا وبخاصة فى بلغـــــاريا وجنـــــوب فرنسـا (١٤١) .

ثم بدأت التحذيرات البابوية تأخذ شكلا آخر ضد هؤلاء الخارجين ، وذلك بالحث على حمل السلاح ضدهم واقتــلاع جذورهم .

فعندما انعقد مجمع اللاتيران سنة ١١٧٩ م برئاســـة البابا اسكندر الثالث طلب إلى السلطات العلمانية معاقبـــة المانويين والألبجنزيين لأنهم باتوا يروجون لآرائهم جهارا ، كما أصدر المجمع ضد هذه الجماعات قرارا بالحرمان واللعنة ، واستنفر المجمع السلطات العلمانية لحمل السلاح وشن حرب صليبية ضد شرورهم (١٤٢) .

وقد وجدت السلطات الكنسية تهاون الأســـاقفة وعدم جديتهم فى القبض على أصحاب هذه الحركات والتـــابعين لها . حيث استاء البابا لوسيسوس الثالث من إهمال الأساقفة فى محاربة الخارجين ، ولذلك أمرهم أن يزوروا أســـقفياتهم مرة فى كل عام على الأقل ، وأن يقبضوا على كل من تحوم حوله الشبهات وأن يجعلوا كل من لا يقسم يمين الولاء التام للكنيسة فى زمرة (الضالين) ثم عليه مبعد ذلك أن يسلموا هؤلاء العصاة إلى ولاة الأمور المحليين ، وخول مندوبو البابا

---

(١٤٠) محاكم التفتيش ص ٣٩ ، ٤٠ .
(١٤١) معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) ص ٩٠٤ .
(١٤٢) محاكم التفتيش ص ٤٠ ، راجع أيضا المجامع المســـيحية ص ٣٧٨ .

دق خلع الأســـاقفة الذين يتوانون فى القضـــاء على الخارجين (١٤٣) .

وقد تم ذلك فى مجمع فيرونا المنعقد سنة ١١٨٤ برئاسة البابا لوسيوس الثالث وحضور كبار الأساقفة ،، والأساقفة ، وحضور امبراطور الدولة الرومانية فريدرك بربروسه (١١٥٢ - ١١٩٠ م) .

ولذلك تقرر مطردة كل الخارجين لى الكنيسة - ســواء كانوا من رجال الدين أو من غيرهم - على أن يسلم هؤلاء للسلطات العلمانية للقصاص ، وكلف كبـــار رجال الدين بالتفتيش عن أفراد هذه الجماعات بمســـاعدة « العيون » للقبض عليهم . وكل من يتهاون أو يقصر فى هذا الأمر يعرض نفسه لقرار الحرمان لذاته والقطع لأملاكه (١٤٤) .

يقول كراوذر (وأنشأ لوسيسوس الثالث محكمة كنسية للتفتيش فى عام ١١٨٤ م عندما أمر الأساقفة بالقيام بأدق التحريات عن الخارجين الذين يقيمـــــون فى دوائرهم ، والسلطات المحلية بمعاقبة من يتبين إلحاده ، ومصادرة أملاكه وحرمانه من الكنيسة) (١٤٥) .

ثم رأت الكنيسة أن ترك هذه الأمور للأساقفة وحدهم لم يعد مجديا خاصة وأن هذه الحركات قد كبرت شـــوكتها ، واستفحل خطرها - بالنسبة لهم - بانتشـــارها فى أجزاء كثيرة من البلاد الأوربية ولذلك قررت وضـــع إبادة هؤلاء

---

(١٤٣) قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ٥ ص ٩٣ .

(١٤٤) محاكم التفتيش ص ٤٠ .

(١٤٥) ج . ج . كراوذر : صلة العلم بالمجتمع جـ ١ ص ٢٤١ ترجمة حسن خطاب ، مراجعة د/محمد مرسى أحمد . سلسلة الألف كتاب . وزارة التربية والتعليم . قسم الترجمة : ادارة الثقافة العامة . مكتبة النهضة المصرية .

الخارجين على الكنيسة والمتهاونين فى القبض عليهم فى أيدى الحكام المدنيين ، « ولذلك أصدر البـــــابا أنوسنت الثالث (١٤٦) فى عام ١١٩٩ م أمرا إلى القسيسين والحكام والناس أن يستأصلوا شأفة هؤلاء الخارجين » (١٤٧) .

ثم طلب فى سنة ١٢١٥ إلى جميع ولاة الأمور المدنيين ان يقسموا علنا بأن يبيدوا من الأراضى الخاضعة لطاعتهم جميع (الضالين) الخـــارجين الذين عينتهم الكنيســـة ليلقوا ما يستحقون من العقاب ، فإذا لم يفعلوا هذا كله كانوا هم أنفسهم ضالين ، وكل أمير يهمل فى أداء هذا الواجب يخلع ، ويعفى البابا رعاياه من طاعته (١٤٨) .

وهكذا أدخلت الكنيسة فى قانون أوربا العــام مبدأ أن الحاكم يحتفظ بعرشه متى قام بواجبه فى استئصـــال ـ ما يسمى بالهرطقة ـ فإذا تردد فى الاستجابة لأمر البـــابا باضطهاد الزنادقة أكره على الطاعة وصودرت أملاكه وبيعت لأعوان الكنيسة وعرض نفسه للاعتقال .

وتعقبت السلطات الكنسية والعلمانية هؤلاء الخارجين شنقا وحرقا ، وإعداما ، وأعلنت غفران كل ذنب ارتكبه من يعمل لاستئصالهم (١٤٩) .

---

(١٤٦) يقول ولز (ومن ثم نرى مشهدا يبدو فيه أنوسنت الثـــالث وهو يحرض على حرب صليبية ضد هاته الشيع التعيسة ، ويأذن لكل نذل زنيم أو متشرد أثيم بأن ينضم الى الجيش وأن يحمل السيف والنار ، ويغتصب الحرائر ، ويرتكب كل ما يمكن أن يتصوره العقـــل من أنواع انتهاك الحرمات ضد أشد رعايا ملك فرنسا مسالمة ، والقصص التى تروى عن هذه الحرب الصليبية تحكى لنا من أضرب القساوة والنكال البشع ما يتضاءل ازاء بشاعة قصة أى قتل للمسيحيين على أيدى الوثنيين) (معالم تاريخ الانسانية) المجلد الثالث ص ٩٠٤ .

(١٤٧) صلة العلم بالمجتمع جـ ١ ص ٢٤٠ .

(١٤٨) قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ٥ ص ٩٣ .

(١٤٩) قصة الصراع ص ٤٩ .

ولم تكتف الكنيسة بذلك ، وإنما أخذت تتعقب الهرطقة فى مظانها السرية ، إذ ليس يكفى - فى نظرها - القضاء عليها بالعنف حين يستفحل أمرها ، ولا النص على ضرورة اشتراك السلطات التنفيذية فى إبادتها متى ظهرت واستشرى داؤها ولذلك أمرت الكنيسة بالترصد والتفتيش عن هؤلاء الخارجين ، وأقامت لهم المحاكم التى تروعهم وتخيفهم بأحكامها الصارمة وعقوباتها المتشددة (١٥٠) ٠

ولما ارتقى جريجورى التاسع عرش البابوية سنة ١٢٢٧ م وجد أن هؤلاء الذين يسمونهم بالهراطقة آخذون فى الإزدياد رغم المحاكمات الحكومية ، والأسقفية حيث كانت جميع بلاد البلقان ، والجزء الأكبر من إيطاليا ، وغير قليل من فرنسا ٠ كانت هذه البلاد مليئة بهؤلاء ، ولذلك قرر جريجورى التاسع إرسال عدد كبير من المحققين أو المفتشين الخصوصيين لمطاردة الخارجين ، كما قرر تعيين الرهبان الدومنيكان (١٥١) ليقوموا بهذا العمل ، وأدخل فى قانون الكنيسة - قانون الامبراطور فريدرك والذى سنه عام ١٢٢٤م وهو يقضى بإعدام كل من ينحرف أو يحيد عن تعاليم الكنيسة ٠

وبهذا أنشئت المحاكم التفتيشية (١٥٢ ونظمت كأداة تحقيق مستديمة تحت إدارة السلطات الكنسية (١٥٣) ٠

---

(١٥٠) المرجع السابق نفس الصفحة ٠

(١٥١) نسبة الى الراهب الاسبانى (دومنيك) والذى عاش ما بين عامى ١١٧٠ - ١٢٢١ م لمزيد من المعلومات عنه راجع محاكم التفتيش ص ٣٠ ٠ قصة الحضارة مجلد ٤ ج ٥ ص ١٣٧ ، معالم تاريخ الانسانية - المجلد الثالث ص ٩٠٧ ، المسيحية فى العصور الوسطى ص ١١٢ ٠

(١٥٢) قصة الحضارة مجلد ٤ ج ٥ ص ٩٣ - ٩٥ ، المسيحية فى العصور الوسطى ص ١٠٢ ٠

(١٥٣) معالم تاريخ الانسانية ص ٩٠٩ ٠

وهكذا ظهرت محاكم التفتيش البابوية فى النصــف الأول من القرن الثانى عشر ، ونظمت كأداة تحقيق مستديمة تحت إدارة رجال الدين المسيحى . وبهـــــذا الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الانسانى بالنار والعذاب ، وكان كبــار رجالهـــا يقفون فى مئات الســـاحات فى أوربا ليراقبوا أجسام أعدائهم تحترق بالنار وتخمد أنفاسهم بحالة محزنة (١٥٤) .

ولا يكاد المؤرخون الغربيون يتعرضون للحديث عنهـــا إلا ويصيبهم الاضطراب ، وتنفجر كلماتهم رعبا ، واذا كان هذا هو حال المؤرخ لهذه الأحداث فما بالك بالضــحايا الذين أزهقت أرواحهم ، والســــــجناء الذين أذيقوا ألوان المر والنكال (١٥٥) .

وكانت محكمة التفتيش تتكون من المفتش الكنسى وهو مفوض من قبل البابوية ، ومنها يستمد صلاحياته فى الربط والإدانة ، كما أن الأراضى التى يقوم بالتفتيش عليها تصبح طيعة لكل أوامره ، وهو الذى يوجه الاتهـــــام ، ويحكم فى القضايا ، ويصدر الإدانة (١٥٦) .

ويعاونه فى هذا جماعة من رجال الدين المعــــــروفين بتعصبهم الشديد للكاثوليكية .

وهذا يعنى أن هذه المحاكم كانت بابوية محضة تســتمد سلطانها من البابا مباشرة ، ولا دخـــــل للحــكومات فى تصرفاتها ، اللهم إلا قيامها بتنفيذ أحكامها .

---

(١٥٤) معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) ص ٩٠٩ .
(١٥٥) العلمانية ص ١٣١ .
(١٥٦) لمزيد من التفاصيل عن تشكيل محكمة التفتيش وتكوينهـــا راجع محاكم التفتيش ص ٤٣ .

وكانت المحاكمة فى هذه المحاكم سرية ، ومن واجباتهـا مراقبة المطبوعات ، والمدارس ، وتقرير الكتب التى يسـمح بتداولها ، وإحراق الكتب التى لا تفق مع المذهب الكاثوليكى، كما أنها تقوم بالتجسس - بكل الطـرق المشروعة وغير المشروعة - على من يشتبه فى عقيدتهم والقبض عليهـم ومحاكمتهم فى جلسات سرية ، وتعذيبهم بمختلف الطـرق القاسية التى تكرههم على الاعتراف بهرطقتهم (١٥٧) .

ولم يكن فى هذه المحاكم شىء يذكر عن العـدالة أو الرحمة ، وحق الانسان فى الدفاع عن نفسه وإنما كانت تقوم على الجور والظلم والقسوة المفرطة .

ويكفى أن نعرف أنها كانت تفرض إدانة كل متهـم بالإلحاد - فى نظرها - حتى تثبت براءته وهذا عكس القانون الجرمانى القديم الذى كان متبعا فى إنجلترا وبعض البلاد الأوربية الأخرى .

وكانت إجـراءاتهـا سرية ، كمـا أن المتهمين لا يرون شهود الإثبات ولا يسـتجوبونهم ، ولذلك كانت المحاكمات تقوم على ما يقوله الوشاة ، والجواسيس ، وغيرهم من الحانقين ، وكانت أيضا تقبل شهدة المجرمين والأطفـال التى ترفضها المحاكم الأخرى ، ولكن ما كانت تقبل المجرمين أو الأطفال شهود نفى .

وكان للمتهم نظريا أن يأتى بمن يدافع عنـه (١٥٨) ،

---

(١٥٧) محمد رفعت ، محمد احمد حسونة : معالم تاريخ أوربا الحديث ص ٤٣ نقلا عن المجامع المسيحية ص ٣٨٣ .

(١٥٨) وحتى لو كان ذلك مستطاعا فان مهمة الدفاع كانت تنحصر حينئذ فى التثبت من صحة الاتهامات الموجهة ضد موكله وذلك يعنى فى بساطة أن مهمة الدفاع لا تختلف كثيرا عن مهمة المحكمة نفسها وبذلك يصبح الدفاع دفاعا عن المحكمة والمفتش العام بقدر ما هو دفاع عن المتهم (محاكم التفتيش ص ٤٩) .

ولكن لما كان الدفاع عن الملحدين - فى نظر الكنيسة - جريمة فإن أحدا لا يستطيع ذلك ، وكان الشهود يعذبون ، ولذلك قل من يتطوع للإدلاء بشهادة فى صالح المتهم (١٥٩) .

واستخدمت محاكم التفتيش وسئل التعذيب والإرهاب القاسية والسيئة لكى تحصل من المتهم على الاعتراف بإثمه !! من قبيل ذلك احتجاز المتهم فى سجن خشن ضيق حيث يقيد بالأغلال ويحرم من الطعام والشراب ، والنوم فى زنزانات خانقة لا تكاد تسمح أحجامها لمجرد الوقوف على القدمين ، وعرفت هذه بالزنزانات الخشنة) .

وإن فشلت السبل السابقة تلجأ المحكمة الى درجـــات أشد وأقسى من صنوف التعذيب (١٦٠) .

وقد تعددت أساليب التعذيب :

فمنها : تعليق المتهم من يديه ورجيه على الحائط . ومنها : دفع المتهم الى مكان عال ثم الرمى به ليهوى على الأرض ، ومنها أيضا : الكى بشعلة نار ملتهبة ، وأيضـــا طرح المتهم على منصة فى وضع مثلث مع ربطه بحبل يلتف عقدا حول جميع أعضاء جسده ، وينتهى الحبل المعقود برافعة تلم كل الشمل ، فإن لمست الزافعة رضرضت أعضاء الجسـد الموثوق وقد تمزقها تماما . وقد يوثق المتهم وساعداه مقيدان من وراء ظهره ثم يرفع إلى ربوة عالية ومنها يركل ليسـقط على الأرض ، وأحيانا كانت تربط الأثقال فى قدمى المعـذب الموثوق حتى يكون سقوطه مروعا ومرديا .

---

(١٥٩) صلة العلم بالمجتمع ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٦٠) وقد أقر البابا أنوسنت الرابع ١٢٤٣ - ١٢٥٤ أســــلوب التعذيب فى مرسوم صدر فى ١٥ مايو سنة ١٢٥٢ م وصدق على القرار البابا اسكندر الرابع (١٢٥٤ - ١٢٦١ م) فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٢٥٩ م والبابا كلمنت الرابع (١٢٦٥ - ١٢٦٨ م) فى ٤ نوفمدبر ١٢٦٥ م - محاكم التفتيش ص ٥٠ .

وعرف من وسائل التعذيب أيضا : تعريض قدمى المتهم - بعد أن تطليا بالشحم - إلى نار ملتهبة ، وبعد جرعة من هذا المس بالنار المشتعلة والمتأججة يسدل ساتر من الحديد لحجز اللهب عن قدمى المتهم ، وهنا يظهر المفتش لانتزاع الاعتراف من المتهم ، وفى كثير من الأحيان كان المتهم يموت من التعذيب والإرهاب قبل أن يدلى باعتراف ما للمحكمة (١٦١) .

يقول د / اسحاق عبيد (والغريب فى الأمر بعد هذا كله أن المحكمة تسجل فى سجلاتها أن المتهم أدلى باعترافه طواعية ودون تعذيب على الاطلاق) (١٦٢) .

والعقوبات التى كانت تصدرها محاكم التفتيش كانت تدور عادة بين الإعدام والسجن بصنوفهما المختلفة والمتعددة والتى لا يراعى فيها أى حرمة لآدمية الانسان حيث رويت مآسى مروعة وكانت أغلب الأحكام الموت حرقا وأقلها السجن المؤبد .

وعملت الكنيسة لا على إبادة الخارجين فقط بل ومصادرة أملاكهم وأموالهم وهدم منازلهم والمنازل المجاورة لها . فقد عمدت محاكم التفتيش إلى مصادرة أملاك الهراطقة وأموالهم، والغريب أنه لو كان للهرطيق أبناء لا غبار ولا شبهة على إيمانهم - فى عرف الكنيسة - فإنهم لا يرثون شيئا من أملاك والدهم .

كذلك لجأت البابوية إلى هدم منازل الهراطقة ، فقد كتب البابا أنوسنت الثالث فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٢٠٧ يأمر بأن تهدم جميع الدور التى استخدمت كملجأ للهرطقة أو كندوة

---

(١٦١) المرجع السابق - نفس الصفحة .
(١٦٢) المرجع السابق ص ٥١ .

تنشر آراء المهرطقين على أن تدك من سقفها حتى أساسها .

ولما أن جاء البابا أنوسنت الرابع رأى فى ١٥ مايو سنة ١٢٥٢ م ضرورة هدم المنازل المجاورة لمنزل الهرطيق خشية أن تكون قد تلوثت بوباء الهرطقة كما يعتقدون (١٦٣) .

وقد أمعنت محاكم التفتيش فى الظلم فلجأت إلى احراق جثث الموتى من المهرطقين اعتقادا منهم أنه قد يصاب المكان الذى يضم رفات الهرطيق بالدنس ولذلك نبشت قبور عدة ، وأهينت حرمة جثث كثيرة وسط قرع الطبول ولهيب المحرقة (١٦٤) .

وقد توطد هذا النظام الآثم وشاعت تلك المحاكم الظالمة حتى غطت العالم المسيحى الغربى كله بشبكة لا سبيل إلى انتقائها ، واتصل أعضاؤها فى شتى الممالك وتعاونوا على الاضطلاع بهذه المهمة (١٦٥) – التى كانوا يعتبرونها مقدسة .

وقد صوبت محكمة التفتيش فى اسبانيا سهامها نحو المسلمين فقتلت وعذبت منهم الكثير وأذاقتهم ألوان الاضطهاد وصنوف التعذيب وطبقت عليهم أقسى وأشنع عمليات الإبادة الوحشية .

---

(١٦٣) إلا أن البابا اسكندر الرابع رأى فى هذا القرار تطرفا زائدا فالغاه فى ٦ مارس سنة ١٢٥٧ م ، والسبب فى ذلك الالغاء يرجع الى أن تنفيذ هذا القرار سوف يؤدى حتما الى ازالة قرى ومدن باكملها – محاكم التفتيش ص ٥٥ .

(١٦٤) المرجع السابق – نفس الصفحة .

(١٦٥) راجع المرجع السابق ص ٤١ – ٤٣ ، قصة الصراع ص ٥٠

والغريب والعجيب أن هذا كله يحدث من أناس يدعــون أنهم أرباب محبة وتسامح وأنهم يمتثلون لما جاء فى أناجيلهم عن دعوة المحبة والصفح والسلام حيث جاء فى أناجيلهـــم فيما ينسبونه للمسيح (لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا) (١٦٦) .

وأيضا (أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم) (١٦٧) !!

وبالله التوفيق ؟

---

(١٦٦) متى ٥ : ٣٩ .
(١٦٧) متى ٥ : ٤٤

أهم مراجع البحث

١ – د/إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ٠ مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الخامسة سنة ١٩٨١ م ٠

٢ – أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٠ الطبعة العاشرة – دار القلم ، دار الأنصار سنة ١٩٧٧ م ٠

٣ – أبو عثمان عمرو بن بحر (المعروف بالجاحظ) : المختار فى الرد على النصارى ٠ تحقيق د/محمد عبد الله الشرقاوى ٠ الطبعة الأولى ٠ دار الصحوة للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٤ م ٠

٤ – أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى : الملل والنحل ٠ تحقيق محمد سيد كيلانى ٠ مكتبة مصطفى الحلبى سنة ١٩٧٦ م ٠

٥ – د/أحمد على عجيبة : تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (رسالة دكتوراه) مخطوط بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا ٠

٦ – د/أحمد على عجيبة : دراسات فى الأديان الوثنية القديمة ٠ دار المنار للطباعة ٠ الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م ٠

٧ – أرنولد توينبى : تاريخ البشرية ٠ ترجمة : نقولا زيادة ٠ الأهلية للنشر والتوزيع ٠ الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٥ م ٠ بيروت ٠

٨ – د/إسحاق عبيد : الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ٠ دار المعارف سنة ١٩٧٢ م ٠

٩ - د/إسحاق عبيد : محاكم التفتيش . نشـأتها وتطورها . الطبعة الأولى . دار المعارف سنة ١٩٧٨ م .

١٠ - د/بركات عبد الفتاح : الحركة الفكرية ضـد الاسلام « أهدافها ومقاومتها » دار التراث العربى . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ م .

١١ - د/بركات عبد الفتاح : الوحدانية مع دراسـة فى الأديان والفرق . دار النهضة المصرية سنة ١٩٧٧ م .

١٢ - الأب بولس إلياس اليسوعى : يسوع المسـيح شخصيته وتعاليمه . الطبعة الثانية . منشورات المطبعـة الكاثوليكية سنة ١٩٦٦ م .

١٣ - تشارلز وورث : الامبراطورية الرومانية . ترجمة : رمزى عبده جرجس . مراجعة : د/محمد صقر خفاجة (سلسلة الألف كتاب) دار الفكر العربى سنة ١٩٦١ م .

١٤ - د/توفيق الطويل : أسس الفلسفة . الطبعـة الخامسة . دار النهضة العربية سنة ١٩٦٧ م .

١٥ - د/توفيق الطويل : قصـة الصراع بين الدين والفلسفة . الطبعة الثالثة . دار النهضـة العربيـة . سنة ١٩٦٧ م .

١٦- جاد المنفلوطى : المسيحية فى العصور الوسطى . (الجزء الثانى من سلسلة تاريخ المسـيحية) دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية سنة ١٩٧٧ م .

١٧ - د/جوزيف نسيم يوسف : دراسـات فى تاريخ العصور الوسطى . مؤسسة شباب الجامعة سنة ١٩٨٣ م.

١٨ - جون لوريمر : تاريخ الكنيسة « أربعة أجزاء » . دار الثقافة المسيحية . الطبعة الأولى .

١٩ - حبيب سعيد : فجر المسيحية (الجزء الأول من سلسلة تاريخ المسيحية) - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية سنة ١٩٧٧ م .

٢٠ - دونالد ددلى : حضارة روما - ترجمة : جميل يواقيم الذهبى ، فاروق فريد - مراجعة د/صقر خفاجة - دار نهضة مصر سنة ١٩٧٩ م .

٢١ - د/رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة - الطبعة الثانية - الجزء الثانى والثالث - دار المعارف سنة ١٩٨٣ م .

٢٢ - الشيخ رحمت الله الهندى : إظهار الحق - تحقيق د/أحمد السقا - دار التراث العربى سنة ١٩٧٨ م .

٢٣ - د/سعد الدين صالح : مشكلات العقيدة النصرانية الطبعة الثانية - مطبعة دار البيان سنة ١٩٨٣ م .

٢٤ - د/سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جزءان ، الطبعة السادسة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٥ م .

٢٥ - د/سفر عبد الرحمن : العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الاسلامية المعاصرة ، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م .

٢٦ - شارل جنيبير : المسيحية نشأتها وتطورها . ترجمة : د/عبد الحليم محمود - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .

٢٧ - الشيخ عبد الرحمن الجزيرى : أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق - الطبعة الأولى - مطبعة الارشاد سنة ١٩٣٤ م .

٢٨ - د/عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوربية . الطبعة الأولى . المكتبة العصرية سنة ١٩٦٧ م . بيروت .

٢٩ - د/على الغمراوى : مدخل الى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط . الطبعه الثانية . مكتبة سعيد رافت . سنة ١٩٧٧ م .

٣٠ - د/فتحى محمد الزغبى : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للاسلام . مطبعه غباشي . سنه ١٩٨٨ م .

٣١ - هـ . فشر : أصول التاريخ الأوربى الحديث (من النهضة الأوربية الى الثورة الفرنسيه) ترجمه : د/زينب عصمت راشد ، د/أحمد عزت عبد الكريم . دار المعارف سنة ١٩٦٥ م .

٣٢ - هـ . أ . ل . فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى (القسم الأول) ترجمة : محمد مصطفى زيادة ، السيد الباز العرينى . الطبعة السادسة . دار المعارف سنة ١٩٧٦ م .

٣٣ - ج . ج . كراوذر : صلة العلم بالمجتمع . ترجمة : حسن خطاب . مراجعة : د/محمد مرسى احمد (سلسلة الألف كتاب) وزارة التربية والتعليم . مكتبة النهضة المصرية .

٣٤ - كرستوفر دوسن : تكوين أوربا . ترجمة ومراجعة : د/محمد مصطفى زيادة ، د/سعيد عبد الفتاح عاشور (سلسلة الألف كتاب) مؤسسة سجل العرب سنة ١٩٦٧ م .

٣٥ - كولتون : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة . ترجمة : د/جوزيف نسيم يوسف . دار المعارف الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ م .

٣٦ ـ مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ٠ الطبعـة الثانية ـ إصدار مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٢ م ٠

٣٧ ـ د/محمد رجب الشتيوى : المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية ـ مطبعة التقدم ـ سنة ١٩٨٨ م ٠

٣٨ ـ الامام محمد عبده : الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (مجموعة مقالات نشرت فى مجلة « المنار » الاسلامى ثم جمعت فى كتاب صدر عن دار المنار ٠ الطبعة الثامنة ٠ مكتبة صبيح سنة ١٩٥٤ م ٠

٣٩ ـ د/محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ٠ دار النهضة العربية سنة ١٩٧٢ م ٠

٤٠ ـ د/محمود محمد الحويرى : رؤية فى سقوط الامبراطورية الرومانية ٠ دار المعارف سنة ١٩٨١ م ٠

٤١ ـ د/مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الأكبـر الى الفتح العربى ٠ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٥ م ٠

٤٢ ـ موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ٠ دار المعارف سنة ١٩٧٨ م ٠

٤٣ ـ هـ ٠ موس : ميلاد العصور الوسطى ٠ ترجمـــة : عبد العزيز توفيق جاويد ٠ مراجعة : د/البـــاز العرينى (سلسلة الألف كتاب) ٠ عالم الكتب سنة ١٩٦٧ م ٠

٤٤ ـ نخبة من اللاهوتيين : قاموس الكتاب المقـدس ٠ الطبعة السادسة ٠ منشورات مكتبة المشعل بإشراف رابطة الكنائس الانجيلية فى الشرق الأوسط ٠ سنة ١٩٨١ م ٠

٤٥ ـ نقولا يعقوب : أبحاث المجتهدين فى الخلاف بين النصارى والمسلمين ٠ مطبعة المعارف سنة ١٩٠١ م ٠

٤٦ – ولز : معالم تاريخ الانسانية ٠ ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد « لجنة التأليف والترجمة والنشر » الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ م .

٤٧ – ولز : موجز تاريخ العالم ٠ ترجمة : عبد العزيز جاويد ٠ مراجعة : محمد مأمون نجا « سلسلة الألف كتاب » مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ م .

٤٨ – ول ديورانت : قصة الحضارة ٢ لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٤٩ – يوسابيوس القيصرى : تاريخ الكنيسة ٠ ترجمة : القمص مرقس داود ٠ مكتبة المحبة سنة ١٩٧٩ م .

٥٠ – يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط ٠ الطبعة الأولى ٠ دار الكاتب المصرى سنة ١٩٤٦ م

الفهـــــــرس

تصويب بعض الأخطاء الواردة فى هذا البحث

الصفحة	السطر	الصواب	الخطأ
٣	٦ (من الهامش)	٣٢٣	٣٢٣
٤	١٠	الديانة	الديانات
٥	السطر الثامن مكانة الصحيح السطر السابع		
٦	١ (من الهامش)	بينما	بنما
٩	٢	تنفيذ	نتفيذ
١١	٦	لم يحدث لها ذلك	نجت من ذلك
١٣	١٠	كبير	كبر
٢١	٢٠	للبابوية	البابوية
٢٤	٣	ادعت	ادت
٢٥	٢	لورنزو	للورنزو
٣٠	٢٠	البابوية	الدنيوية
٣١	١٣	على	عللى
٣٦	السطر الأخير من الهامش	العصور	العصل
٣٧	١٨	ودخله	ودحله
٣٨	٨	أن يتقدموا	أن ينقذموا
٣٩	٣	من قوم	من فوم
٣٩	١٠	رسالة ميلان	مرسوم ميلان
٤٠	١	مقيم	مفيم
٤٠	٦	الجو	الحو
٤١	١٠	لما وجدوا فى هذه	لما وجدوا هذه
٤٣	١٣	تجتمع عند	تجتمع عن
٤٦	السطر الأخير من الهامش	العصور	العصل
٤٧	السطر الثالث من أسفل الهامش	ج ٢ ص ٢٤٦	ج ٢٤٦
٥٢	١٨ قبل الرقم (١١٥)	فغضب عليه القس وطرده	—

الصفحة	السطر	الصواب	الخطأ
٦١	١٧	يلقيان	يلقين
٦٤	٥ من أسفل الهامش	كرستوفر دوسن	كرستو فردوس
٦٤	٥ من أسفل الهامش	د/محمد مصطفى	د/مصطفى
٦٧	٧	مطاردة	مطردة
٦٧	٧	على	لى
٧١	١٨	شهادة	شهدة
٧٢	٤	وسائل	وسئل

رقم الايــداع ٦٢٩٩/١٩٩١
مطابع الشـــناوى
طنطا - ميدان الســاعة - ت : ٣٣٢٩٥٠